

جبريل محمد سعيد النجدي

حركات تحرير المرأة في مصر

دراسة علمية .. بمفهوم إسلامي

دار الأحياء

دار الإعتصام

٨ شارع حسن حجازي - تلفون ٢٦٠٣١ / ٣١٧٤٨ - ص ب ٤٧٠ القاهرة

للطبع والنشر والتوزيع

حركات تحرير البراءة في قصصنا

عبد الوارث محمد سعيد النامي

حركات تحرير المرأة في مصر

دراسة علمية .. بمفهوم إسلامي

دار الأحياء



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

لأنى ابتغى بهذا البحث وجه الله العلى القدير وحده . . ولأتى
أحاول به حسم واحدة من أهم وأخطر المشاكل التى ترهق مجتمعنا
وهى مشكلة علاقة الرجل بالمرأة . أو ما يسمونه حرية المرأة . فقد
حرصت على أن يكون نسيجه كله من الحقائق . الحقائق التاريخية
والحقائق الدينية والحقائق العلمية .

فنحن أولا شعب أرهق التاريخ ولا يزال عبر خمسة آلاف سنة
تزيد ولا تنقص . وطالما كان التاريخ يلهث وراء أحداثه حتى لا يضل
عنه شئ منها . وفى تاريخنا حقائق كثيرة يمكن أن يستخلص منها
الباحث ما يحتاجه فى شتى فروع المعرفة .

ونحن ثانيا شعب متدين استطاع بإيمانه بالله الواحد وبالتزامه
بأحكام عقيدته أن يقيم أعظم حضارة عرفها التاريخ القديم . ثم
استطاع بعد دخوله الإسلام أن ينهض من كبوته وأن يبدع أعظم
حضارة عرفها التاريخ الوسيط . وما استطاع فى يوم من الأيام بعيدا
عن السلوك الدينى القويم أن يكون الا تابعا شقيا بظلم متبوعيه
وقسوتهم عليه .

كذلك فان مجتمعنا المعاصر حافل بالحقائق التى يجب أن يكون

لها دور في صياغة مفاهيمنا ورسم سلوكنا وتخطيط حاضرنا ومستقبلنا . من هذه الحقائق على سبيل المثال :

أولا : ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بمنجزاتها الضخمة التي يتقدمها تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي . وتحقيق الاستقلال السياسي انجاز لا يعرف قدر عظيمته الا من درس تاريخ الشعب المصري وتتبع مسيرة نضاله العنيد عبر ثلاثة آلاف عام ضد الفزاة والطفاة .

والاستقلال الاقتصادي انجاز رائع لأنه يرمز الى الشمول والاحاطة في فكر الثورة الذي لم ينقل عن الفكر الغربي نقلا جامدا . بل درس وتعمق واستوعب ثم أبدع فكرا جديدا وأصولا جديدة تحترم العقيدة الاسلامية والملكية الفردية . ولا تؤمن بالعنف في حل التناقضات الاجتماعية ثم هي حرب على الفقر والاستغلال .

ثانيا : هذه الحروب الشعواء التي تشهنها الامبريالية والصهيونية على الاسلام والمسلمين عاملة على خلق أجيال من أبناء المسلمين تجهل خصائص الاسلام وأحكامه وتتنكر لها . حرب خبيثة بدأت منذ دنست اقدام الاستعمار أرض الوطن العربي في شكل حروب صليبية في العصر الوسيط وما زالت مستعرة الأوار الى يومنا هذا . ولقد نجح الاستعمار في خلق أفراد كثيرة ولا أقول أجيالا تجهل الاسلام وتتنكر لأحكامه ومبادئه .

ثالثا : طاقات شعبنا الهائلة ومنطقاتها التي تكمن في تحقيق العدل بمفهومه الاسلامي الذي لا يترك ثغرة للمظالم وليس بمفهومه الغربي المتفسر تغير الأهواء . والحرية التي لا تشوبها شائبة من تسلط أو قهر . والمساواة التي لا تفاضل بين الناس الا بقدر ولائهم لعملهم ووطنهم .

وفي اعتقادي أن إعادة تنظيم المجتمع المصري قد أصبحت ضرورة وطنية . وأن هذا التنظيم يجب أن يتم في اطار مبادئ ثلاثة :

أولها : أن الشعب المصرى شعب متدين وأن الاسلام دين الدولة
الرسمى . فلا ينبغي أن يكون فى سلوك أى مسئول
ما يتناقض مع هذه الحقيقة .

ثانيها : أن الشعب المصرى جزء من الأمة العربية بل هو قائد
هذه الأمة ورائدها فلا يجوز أن تستخدم أجهزة الاعلام
والثقيف لفتنا العامة . بل يجب أن تكون العربية
الفصحى لغة الكلمة المكتوبة والمسموعة .

ثالثها : أن الشعب المصرى شعب أفريقى يقف حارسا مسئولا عن
الباب الشمالى الشرقى لأفريقيا . فلا يليق بنا أن نحول
بلدنا الى قطعة من أوروبا فى تدرجها وانحلال شبابها .

ومن البديهي أن إعادة تنظيم المجتمع يجب أن تبدأ بالأسرة التى
تعتبر الخلية الأولى للمجتمع . وبالتالي فإن مشروع اصلاح الأسرة
يجب أن يبدأ باعادة النظر فى الدور الذى تقوم به المرأة المصرية حاليا .
وهو الدور الذى أشركها مع الرجل فى عمله والذى كان هدفا هاما
وأساسيا بين أهداف حركة تحرير المرأة فى مصر .

وهذه الدراسة تهتم بمتابعة حركة التحرير تلك سواء من حيث
نشأتها ومفهومها كما تهتم ببيان النتائج المتوقعة لجهودها على ضوء
ما وصلت اليها حركة تحرير المرأة فى البلاد القريبة . والله ولى
التوفيق (1) .

عبد الواحد اسماعيل القاضى

(1) هذا الكتاب فرغت منه عام ١٩٧٤ .

الفصل الأول

حركة تحرير المرأة

في عام ١٧٩٢ حين كانت الثورة الفرنسية تجتاز أخطر مراحلها نشرت سيدة انجليزية اسمها ماري ولستون كرافت كتابا عن حقوق المرأة اسمه *A Vindication of the Rights of Women* ويعتبر هذا الكتاب أول إثارة لموضوع حقوق المرأة في إنجلترا وربما في العالم كله . غير أن دعوة المطالبة بحقوق المرأة كانت بطيئة الحركة خفيفة الصوت حتى منتصف القرن التاسع عشر حين نجحت في كسب تأييد بعض أعضاء مجلس العموم وتحريضهم على إثارة موضوع حقوق المرأة في المجلس . ومع أنه لم يصل إلى قرار لمصلحة القضية إلا أن مجرد إثارته في ذلك المجلس كان دفعة قوية لها لأن أصحابها وأصلوا نشاطهم بحماس حتى صدمهم جلدستون رئيس الحكومة بعبارة المشهورة « المرأة ستكون عبئا ثقيلا على ميزانية الدولة . ” (*Women would overweight the Bill*)

وفي الولايات المتحدة الأمريكية بدأت حركة المطالبة بحقوق المرأة في عام ١٨٣٢ وفي ١٨٤٨/٧/١٩ اجتمع أول مؤتمر للدفاع عن حقوق المرأة . ويعتبره الأمريكيون أول مؤتمر من نوعه في التاريخ كما يعتبرونه بداية الحركة النسائية في العالم . ومنذ ذلك التاريخ نشطت حركة تكوين النوادي والجمعيات النسائية حتى بلغ عددها في عام ١٨٩٠ خمسة عشر ألف ناد . وكانت الحركة تستهدف اعداد المرأة لتؤدي دورها في مختلف مجالات الحياة

عندما تنتهى التغييرات الاقتصادية فى العالم الى ازالة كثير من الأعمال المنزلية .

وأطرد نمو حركة المطالبة بحقوق المرأة حتى حققت أهدافها فى كل من إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية . فبعد الحرب العالمية الأولى وفى عام ١٩١٨ بالذات منحت المرأة فى إنجلترا حقوقها السياسية . ومنحت فى العام التالى حق العمل والتعيين فى مختلف وظائف الدولة . أما فى أمريكا فقد كانت التشريعات المنظمة لحقوق المرأة تلاحق زميلاتها فى إنجلترا . ففى عام ١٩٢٠ حصلت المرأة الأمريكية على الحقوق السياسية وفى عام ١٩٤٢ تمت مساواتها بالرجل فى كل مجالات العمل « انظر الجزء ٢٣ ص ٧٠٤ من الانسيكلوبديا البريطانية » (١) .

أما فى مصر فقد انشئ اتحاد نسائى لأول مرة عام ١٩٢٣ ليتصدى للعادات والتقاليد والأفكار الرجعية التى تضعف جهود المرأة وسعيها فى سبيل التحرر من تسلط الرجل واستبداده بها (٢) . وكانت السيدة هدى شعراوى هى صاحبة الفضل فى انشاء هذا الاتحاد . ذلك أن ثورة عام ١٩١٩ كانت فرصة طيبة لتجمع نسائى تؤدى فيه المرأة واجبها الوطنى جنباً الى جنب مع سائر فئات

(١) نشرت الأهرام فى صفحة المرأة بتاريخ ٢٩/١١/١٩٨٠ أن مدام دوبان التى كانت صاحبة أشهر صالونات الأدب فى القرن الثامن عشر بفرنسا نادت فى عام ١٧٤٠ بضرورة حصول المرأة على حريتها وتحقيق المساواة بينها وبين الرجل — وقد خلفت هذه السيدة مخطوطات تؤكد هذه المعلومة وكان جان جاك روسو يعمل سكرتيراً لها فى ذلك الوقت .

(٢) نستعرض نظر القارئ الى أن هذه الكلمات ليست من انشائنا وهى تعبير عن وجهة نظر مؤسسات الاتحاد النسائى .

الشعب . وفى ١٦ مارس ١٩٢٣ عقد فى بيت هدى شعراوى اجتماع لقيادات ذلك التجمع النسائى الوطنى . وتمخض ذلك الاجتماع عن مولد الاتحاد النسائى الذى كان من أهدافه الدفاع عن حقوق المرأة وربط حركة تحرير المرأة فى مصر بحركة التحرير العالمية للمرأة . وتقول بهيجة عرفة المتخرجة فى الجامعة الامريكية فى كتابها :

“The Social Activities of the Egyptian Feminist Union”

ان أهداف الاتحاد النسائى فى ذلك الوقت كانت تسعة أهداف هى :

١ — رفع المستوى الثقافى للمرأة المصرية لتحقيق مساواتها بالرجل سياسيا واجتماعيا .

٢ — العمل على تمكين الفتاة من مواصلة تعليمها فى مختلف الكليات والمعاهد العليا .

٣ — تغيير تقاليد الزواج التى تسلب الفتاة حريتها فى اختيار شريك حياتها .

٤ — ادخال التعديلات اللازمة على أحكام الطلاق والزواج لحماية المرأة من ظلم الرجل .

٥ — العمل على إصدار قانون بعدم زواج الفتى قبل الثامنة عشرة والفتاة قبل السادسة عشرة .

٦ — تنظيم الدعاية والاعلام اللازمين لتنشيط وتقوية حركة الاتحاد .

٧ — الدعوة الى التمسك بالفضيلة ومحاربة الرذيلة .

٨ — محاربة العادات والتقاليد والأفكار التى لا يقبلها عقل .

٩ — الاستعانة بالصحافة فى نشر مبادئ الاتحاد وأهدافه .

وتقول بهيجة عرفة أيضا أن الصحافة العربية لم

تتعاون مع الاتحاد النسائي في أول الأمر لأن أصحاب الصحف والحررين كانوا يخشون الغالبية العظمى من المصريين الذين كانوا يعارضون مساواة الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات . الأمر الذي دفع بالاتحاد النسائي الى الاستعانة بالصحافة الغربية والى انشاء صحيفة تخدم أهدافه .

ومما يلفت النظر أن الاتحاد لم يصدر صحيفة عربية يقرأها الشعب ويفهم موضوعاتها . بل أصدر مجلة تحرر باللغة الفرنسية أسماها *L'Egyptienne* أى « المصرية » تصدر مرة كل أسبوعين وكانت تديرها وتحرر موضوعاتها السيدة سيزا نبراوى سكرتيرة الاتحاد . وفي عام ١٩٣٧ قام الاتحاد بإصدار مجلة عربية أسبوعية أسماها « المصرية » كانت تحررها في أول الأمر السيدة فاطمة نعمت راشد ثم السيدة هدى شعراوى ثم حواء حبيب المصرى . وبعد أربع أو خمس سنوات توقف إصدار المجلتين بسبب عدم الاقبال على قراءتهما .

ولقد اطلعت على محاضرة للسيدة هدى شعراوى ألفتها يوم الجمعة ١٥/١١/١٩٣٥ في قاعة يورت التذكارية بدار الجامعة الأمريكية بالقاهرة يفهم منها أن حركة تحرير المرأة في مصر بدأت في وقت مبكر جدا . وبالتحديد في عهد الخديو اسماعيل — وتقول السيدة هدى شعراوى مؤسسة الاتحاد النسائي واول رئيسة له في محاضرتها تلك ما يأتى :

« ولم يكن الخديو اسماعيل بفتح المدارس لتعليم بنسائ الشعب بل دفعه حبه في الترقى السريع الى النهوض بكل الطبقات فأراد لنشر الروح العصرية بين الطبقة الراقية أن يكون مجموعة مثقفة من نساء قصره لتكون نواة لبيئة راقية مفكرة . فأمر بإعطاء دروس في مختلف العلوم والفنون لبعض الجوارى البيض في قصره فنبغ منهن عدد عظيم في الأدب التركى والشعر وفن التمثيل والموسيقى »

والرياضة البدنية . فتكون منهن فرق للتمثيل كانت تقوم بتمثيل أدوار أخلاقية واجتماعية هزلية . كما تكونت فرق أخرى للموسيقى كانت تظهر في المواسم والأعياد وفي كل مناسبة بملابس عسكرية مختلفة . تمنح أفرادها الألقاب والأوسمة بمقدار كفاءة كل منهن . وظهر من بينهن فضليات في الشعر والأدب . عرفت منهن حرم راتب باشا السردار التي كان لها باع في الشعر التركي . وقد هيأت هذه المجموعة المثقفة جوا زاهرا تجلت فيه روح جديدة وذوق سليم . ولما انشأ دار الأوبرا خصص لهن فيها أمكنة اعترافا منه بحق المرأة في الترويج عن نفسها والاستفادة من عظة التمثيل . ولما كان جل مقصده نشر التمدن والذوق السليم بين الأسر المصرية زوج هؤلاء الجوارى المتهذبات الراقيات بعض رجال بلاطه ووجهاء بلده منعماء على كل منهن بما يتناسب ومركز زوجها من مال وعقار وحلى وخدم .

« وبالرغم من أن هذه الطريقة قد حرمت كثيرا من بنات العائلات المصرية من مراكز الزوجية التي شغلتها تلك الشراكسيات في بيوت الأمراء والوجهاء . فقد كان لتلك السيدات فضل عظيم في تمدين بيوتات كثيرة وتنظيمها والعناية بتربية النشء فيها . وظهر أثر ذلك في الجيل الحاضر والجيل المنصرم .

« ولولا أن الخديو اسماعيل خشى من أن يحدث تطور المرأة السريع ضجة ومقاومة من رجال الدين في ذلك الوقت لأعطى المرأة المصرية في عهده حرية تفوق الحرية التي تتمتع بها الآن . ولنهضت البلاد الى الدرجة التي كان يصبو اليها من رقى وتمدين » (١) .

ثم نقول في مكان آخر من محاضرتها :

« وعززت هذه الحركة — تتصد حركة التفاف علماء الأزهر

(١) تعبير رجال الدين غير اسلامي يقابله في الاسلام تعبير علماء الاسلام ..

وطلابه حول جمال الدين الأفغانى — أميرة جلييلة من أميرات الأسرة المالكة المغفور لها نازلى هانم فاضل . وكانت على جانب عظيم من الثقافة الغربية والشجاعة الأدبية . فجعلت بيتها كعبة رجـال الأدب ، والفضل ومنتدى السياسيين من العطاء وكان رايها بين الآراء المثل الأعلى فى السداد والحكمة . وقيل انه كان لهذه الأميرة اثر عظيم فى توجيه نصر المرأة قاسم أمين بك الى وضع كتابه « تحرير المرأة » مناقضا بذلك نفسه فيما كتبه عن المرأة فى رده على الدوق داركور . وهنا أستأذن الدكتور غارس نمر فى سرد حديث أفضى به الى فى هذا الموضوع وهو لما ظهر كتاب قاسم أمين بالفرنسية ردا على كتاب الدوق داركور « مصر والمصريين » الذى ندد فيه على عادات المصريين واستبدادهم بنسائهم أنبرى الدكتور نمر لنقده فى جريدة المقطم فساء ذلك أصدقاء قاسم أمين وزملاءه وفى مقدمتهم الشيخ محمد عبده فشكوه للأميرة نازلى وكان من المترددين على ناديها فعاتبته على نقده رعاية لمركز القضاء الذى كان يشغله قاسم فأتارها بعض الحاضرين ضده بقوله : لو أطلعت الأميرة على ما دونه قاسم فى رده المذكور لشكرت للدكتور نمر نقده . فان قاسم يندد بالمرأة التى تتأبل الرجال مسافرة . فشارت الأميرة واشتد غضبها حينما اطلعت بنفسها على صدق قوله فى الكتاب الذى أحضروه اليها للتثبت من هذا القول . وانحت باللائمة على الشيخ محمد عبده وأصحابه الذين توسلوا اليها ليكف المقطم عن نقده لهذا الكتاب فاعتذروا لها عن قاسم واستأذنها فى أن يحضر امامها ليدافع عن نفسه ويؤكد لها انه ما كان يقصدها فى دفاعه عن تقاليد بلاده . فأذنت ولما تشرف قاسم بمعرفتها وتردد على رحابها عرف مقدار السيدة المثقفة واثرها الطيب فى تهذيب المجتمع . ولذلك غير رأيه وكتب كتابه « تحرير المرأة » الذى كان فتحا جديدا لحرية المرأة ونيل حقوقها .

وفى مكان آخر من ، داضر نهما تلك تقول السيدة هـدى شعراوى ايضا :

« أما المظاهر الملموسة لتلك النهضة — ومعظمها نتيجة جهودات الاتحاد النسائي المصرى فتتجلى :

أولا — فى مساواة البنت للولد فى جميع أدوار التعليم وفى البعثات العلمية الأوربية . وقد أظهرت بناتنا تفوقا محمودا فى الامتحانات العامة حتى تخرج منهن عدد ليس بالقليل فى هذه المدة القصيرة . والاحصائية التى استقيناهما من مصادرها والتى سأسردها عليكم تؤيد قولى .

ثانيا — قانون يمنع زواج البنت قبل السادسة عشرة من عمرها . وفى ذلك فرصة لنمو جسمها وعقلها وتمكينها من التعليم واعدادها للأومة الصالحة .

ثالثا — مد امد الحضانة رحمة بالطفل الذى هو أحوج الى رعاية امه منه الى رعاية أبيه .

رابعا — تخفيف فوضى الطلاق واجابة الزوجة فى طلبه اذا كان لديها أسباب معقولة .

خامسا — القضاء على البغاء ويسرنا أن لنا انصارا كثيرين فى هذا المطالب الخلقى الانسانى ولنا رجاء فى تحقيقه عما قريب .

سادسا — حماية المرأة العاملة وانصافها فى ساعات العمل . ومراعاة ظروفها الطبيعية . ويسرنا أيضا أن حكومتنا لم تبخس من حق المرأة فى القانون الذى سنته لهذا الغرض كما نفتبط بقرار وزارة المعارف الذى أنصف المعلمات فباح زواجهن مع استمرارهن فى العمل . وقد رفع الاتحاد النسائى فى هذا العام عتب عودة وفده من مؤتمر استانبول للوزارة طلبين :

الأول — سن قانون يقيّد تعدد الزوجات .
والثانى — منح المرأة الحقوق السياسية فى الانتخابات والنيابة أسوة بالرجل . وإذا كان الاتحاد النسائى قد توانى فى الطلب الأخير فلأن المرأة لم تكن فى الماضى مستعدة للقيام بأعباء هذا الحق وأن كان بين الرجال الذين منحوا هذا الحق من ليسوا أكفأ منها » .

(م ٢ — حركة تحرير المرأة)

ثم تختتم السيدة هدى شعراوى محاضرتها قائلا :

« يستنتج مما تقدم أن المرأة الشرقية لم تزل شيئا من حقوقها إلا عقب كل نهضة وطنية أو حركة فكرية لمعاونتها للرجل فيهما حيث تظهر في غضون ذلك التعاون قوتها الكامنة وتتجلى مواهبها الفطرية التي يجهلها الرجل متأثرا بصورة المرأة المشوهة التي طبعتها في وهمه العصور المظلمة والتقاليد الجائرة . كما تحققنا أن كل أمة تشارك المرأة فيها الرجل اشتراكا عمليا هي أكثر الأمم نشاطا وانتاجا لاستغلال نصفها الذي كان مشلولاً . ولما للمرأة من أثر في بث روح الحماسة والغيرة بين أفراد الأمة » .

أن هذه المحاضرة تعتبر بحق وثيقة تاريخية هامة لكل باحث في حركة الدعوة إلى تحرير المرأة المصرية . ولعل من أهم الحقائق التي سجلتها ما يلي :

١ — أن الأصل في الدعوة إلى تحرير المرأة في مصر هو أولئك النسوة الشركسيات اللاتي خرجن من سجن الحريم بقصر الخديو اسماعيل إلى قصور وبيوت الأمراء والعظماء ليكن زوجات لهم .

٢ — أن قاسم أمين الذي يعتبره بعض المؤرخين أول من حمل لواء تحرير المرأة لم يكن سوى واحد من استعانت بهم الأميرة نازلي غاضل في خدمة القضية التي كرس لها وقتها وجهدها ومالها . قضية بنات جنسها من الشركسيات اللاتي يعشن وراء قضبان الحرملك . وأن كتابيه عن تحرير المرأة اللذين ألفهما بتحريض وتشجيع تلك الأميرة لا يعبران عن رأيه الشخصي ذلك الرأي الذي يعبر عنه في صدق كتابه في الرد على الدوق داركور .

٣ - ان المرأة كانت المحور الذى دارت حوله فكرة النهوض بالشعب المصرى . وان الخديو اسماعيل لم يفكر فى النهوض بالشعب عن طريق تنمية موارده فى الزراعة والصناعة ونشر التعليم بين أبنائه . واذا جمعنا بين هذا المفهوم وبين رغبة الخديو فى ان يجعل مصر قطعة من اوربا لتكشف لنا ان صورة المرأة الغربية المتبرجة المتأنقة كانت غالبية على فكره هو وافراد أسرته وغيرهم ممن سافروا الى اوربا .

٤ - ان قوة المرأة الكامنة ومواهبها الفطرية تتجلى فى الحركات الوطنية . وتلك حقيقة يشهد بها التاريخ ونعترف بها .

٥ - ان هدف حركة تحرير المرأة فى مصر هو مشاركة الرجل مشاركة عملية حتى لا يظل نصف الأمة مشلولاً .

ولقد حقق الاتحاد النسائى بفضل تحركه الواعى النشاط كثيرا من اهدافه فلما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ تحقق لحركة تحرير المرأة فى مصر كل اهدافها . وحسبها نجاحا تلك الفقرة التى وردت فى الباب السابع من الميثاق والتى تقول :

« ان المرأة لابد ان تتساوى بالرجل ولا بد ان تسقط بقايا الاغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع ان تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة » .

ولكن طموح حركة تحرير المرأة المصرية بغير حدود . ولذلك نراها بالوعى وبعد النظر لا تكتفى بتجميع النساء حولها وبث مفاهيم التحرير فى نفوس المثقفات خاصة بل تعمل على الاستنصار بالرجال واجتذابهم الى ساحة نشاطها وميدان نضالها . واغلب ظنى انها قد وجدت طريقها اليهم ممهدا فقد ناصرها كثيرون وايدها كثيرون . ولعل اخطر انصارها هم هؤلاء الذين درسوا علوم الاجتماع واحتلوا

الكثير من مواقع العمل الهامة والمؤثرة . انهم يسخرون ابحاثهم فى خدمة اهداف حركة تحرير المرأة ويذهبون فى المطالبة لها بكل ما تسعى الى تحقيقه . مذهب لا تخلو من التطرف والطرافة احيانا . ومثال ذلك تلك الدراسة التى نشرتها جريدة الاهرام يوم ١٩٧١/٢/٨ لواء منهم تحت عنوان « نظرة الى المرأة المصرية المعاصرة » يقول فيها :

« واذا كان المجتمع المصرى قد جرب سيادة معظم الأدوار الاجتماعية التى يؤديها الذكور وتميزها على الأدوار الاجتماعية التى تؤديها الاناث فى فترة من الزمان فقد آن الأوان فى الوقت الراهن — فى ضوء الضرورة الاجتماعية — لراجع هذا المجتمع نفسه ويغير هذا الوضع الجائر — فالملاحظ من وجهة نظر مجتمعنا المصرى المعاصر أن الأنثى المصرية أقبل عدوانا عليه من الذكر المصرى » .

فصاحب هذه الدراسة يدعو الرجال الى التنحي عن كل مواقع المسئولية فى الدولة وترك مقاعدهم للنساء . لأنهن أقل عدوانية على المجتمع من الرجال وأقدر على اشاعة العدل والسلام فيه . وسنعود فى فصل لاحق الى هذه الدراسة لمناقشتها وبيان أخطائها .

الفصل الثاني

مفهوم تحرير المرأة

في اعتقادي ان تحرير المرأة مفهومين . احدهما المفهوم الغربي الذي افضل ان اسميه المفهوم الوثني لانه اكثر دلالة عليه والثاني المفهوم الاسلامي . وسأتكلم فيما يلي عن كل منهما ثم ننظر على اي الدربين سارت حركة تحرير المرأة في مصر .

أولا - المفهوم الوثني

كانت حياة المرأة في المجتمعات الوثنية والمجتمعات اليهودية والمسيحية قاسية أشد ما تكون القسوة . وقد صور حالتها الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه « المرأة في القرآن » بقوله : « وعند اليونان الأقدمين كانت المرأة مسلوقة الحرية والمكانة في كل ما يرجع الى الحقوق الشرعية . وقد كان أرسطو يعيب على أهل أسيرطه تساهلهم مع نساء عشيرتهم ومنحهن حقوق الوراثة والبائنة وحقوق الحرية والظهور ما يفوق أقدارهن ويعزو سقوط أسيرطه — بربطة واضمحلالها الى هذه الحرية وهذا الإسراف في الحقوق — ثم يقول : ومذهب الرومان الأقدمين كمذهب الهنود الأقدمين في الحكم على المرأة بالقصور حيث كانت لها علاقة بالآباء أو الأزواج أو الأبناء » .

وشعارهم الذى تداولوه ابان حضارتهم ان قيد المرأة لا ينزع ونيرها لا يخلع » .

لقد كانت المجتمعات المسيحية فى أوروبا اجهل ما تكون بجوهر عقيدتها السمحاء لان الفكر المسيحى لم يجد فى المجتمعات الغربية تربة صالحة لنمائه وازدهاره . ولعل ذلك راجع الى اسلوب السلطة الدينية فى التعامل مع اتباعها . وهو الاسلوب الذى نزع الى الاستملاء والتسلط وفرض الكبت الفكرى . فضلا عن التعصب الفطيع ضد غير اتباعها من المسيحيين البروتستانت والمسلمين واليهود . وهو التعصب الذى كشف عنه تاريخ ديوان التفتيش الذى انشأه البابا عام ١٣٣٣ ميلادية والذى ظل يرتكب افظع وابشع جرائم التعذيب ضدهم الى ان اكتسحه طوفان الثورة الفرنسية فى اواخر القرن الثامن عشر . . كان اسلوب السلطة الدينية فى روما فى تعاملها مع الاتباع وغير الاتباع آية كبرى على جهلها بالاساس العظيم الذى قامت عليه العقيدة المسيحية وهو المحبة والتسامح . وكان التحرير من سيطرة الكنيسة وتسلطها اعظم ما قدمته الثورة الفرنسية لشعوب أوروبا التى خرجت من سجن الكنيسة مهولة لتجد نفسها مرة اخرى فى متاهات الوثنية كافرة بتلك المفاهيم الدينية التى فرضتها الكنيسة والتى يتبرأ منها المسيح عليه الصلاة والسلام . بل واحسبها من فرط ما شقيت بعقيدتها الدينية قد كفرت بكل ما يمت بصلة الى العقائد الدينية . ولا يهم ان تحتفظ الى يومنا هذا بنسبتها الى المسيحية فحسبها انها قد تحررت من قيودها وتسلط رجالها . وهكذا يمكن القول بان المجتمعات الغربية لم تخضع فى يوم من ايام تاريخها الطويل لشريعة سماوية ولم تهذبها عقيدة دينية صحيحة .

والفكر الوثنى الذى نعتد عليه فى استخلاص مفهوم تحرير المرأة فكل عدوانى انانى يسود افعال الأفراد والحكومات وهو لهذا فكر منحرف لا يعرف الاستواء لان العقيدة الدينية الصحيحة هى

المصدر الوحيد للفكر السوى — على نحو ما سنبينه عند الحديث عن المفهوم الاسلامى — ومن يتأمل بتجرد واخلاص للحقيقة فى انتاج المفكرين الغربيين الاقدمين والمحدثين لا يجد صعوبة فى ادراك انحرافه وعدوانيته ولنضرب لذلك بعض الأمثلة عن الاقدمين منهم والمحدثين . وللحديث عن الاقدمين نتجه بطبيعة الحال الى طليعة الفكر الاوروبى وتراثه العظيم وهو الفكر الاغريقى حيث نجد ارسطو المعلم الاول (٣٨٤ — ٣٢٣ ق.م) يزعم ان علم الأخلاق غير ثابت القواعد يقينى النظريات كالعلوم الرياضية وأنه علم قابل للأخذ والرد . وأنه مجموعة قواعد تعليمية غير ثابتة يقصد بها تحسين أحوال الانسان . ويقول أن علم الأخلاق نافع فى بعض النواحي . وقصر هذا النفع على طبقة معينة من الشباب وهى طبقة النبلاء الكرام . لأن العامة فى رايه كالأنعام لا يفعلون من الخيرات الا ما يحقق رغباتهم . ولا يتجنبون من الشرور الا ما يباعد بينهم وبين العقاب . أما الشباب الارستقراطى فيعمل الفضيلة لذاتها ويأتى الخير ويتجنب الشر لا رغبة فى مكافأة ولا رهبة من عقوبة لأن نفوسهم نشأت مستعدة للخير وترعرعت بين أعطاف النبل والشرف ...

ويقول الدكتور محمد غلاب فى كتابه « الفلسفة الاغريقية » ان ارسطو يشترط فى نظريته الى الاستقلال الاقتصادى الغناء نظام الاستئجار فى الأسرة واكتفائها بما فيها من سادة يأمرن ويدبرن وارقاء يعملون وينتجون . وذلك لأن الرق عنده كان فى مقدمات الضرورات الاجتماعية ولذلك يسمى ارسطو العبيد « الآلات الحية » ويقرر انه لا يمكن الاستغناء عنهم الا حين تصبح ادارة الأنوال فى الامكان بدون حاجة اليهم . ولم يكن ارسطو يرى فى تقسيم الانسانية الى سادة وعبيد شيئاً من الظلم والقسوة . بل كان يعتقد أن هذا التقسيم نظام فطرى ارادته الطبيعة وأمرت باتباعه . فأنشأت فى البلاد الحارة كاسية قوماً كسالى خاملين

لا يصلحون الا لأن يكونوا عبيدا . وفي البلاد المعتدلة قوما نشطاء
مجدين هم السادة بطبيعتهم لا بالاتفاق .

هذا مثل صارح للانحراف الفكرى مصدره ابو الفيلسفة الذى
يعلم انه هو واضرا به مدينون بثقافتهم لشعوب آسيا وأفريقيا .
ويقول الدكتور محمد غلاب فى تعليقه لهذا الانحراف الفكرى :
« نحن نرى ان صدور مثل هذه الآراء من أرسطو غريب على عقل
هو - لا يكاد يلتئم مع منطقته وتفكيره المستقيم . ولكن لعله تورط فى
ذلك ليبرر استعباد الاسكندر الذى كان مؤسسا على نظام الرق
الفردى والجماعى » . وليس من شك فى ان الدكتور غلاب يعتذر
عن الفيلسوف الاغريقى بما هو أقمح من الخشب .

ومن الفلاسفة الإغريق الذين يهمننا ان نذكرهم ونحن بصد
الحديث عن الانحراف الفكرى ذلك الفيلسوف المسمى « ايبكور »
(٣٤١ - ٢٧٠ ق.م) الذى يؤسس الأخلاق على مبدأ اللذة
الجسمية فيجعلها غاية الحياة ومرماها . ويرى أن محاولة إقصاء
الإنسان عن اللذة هى محاولة لإقصائه عن طبيعته . وهذه
المحاولة إما ان تفشل وإما ان تنتج شقاء المقصي عن غريزته .
ويرى ايضا ان اللذة اذا وصلت الى حد أحداث اضطراب فى
الجسم أو الروح انقلبت الى رذيلة ...

ويقول ناقدوه انه يقرر بصريح العبارة ان اللذة التى يجعلها
غاية الحياة هى اللذة الجسمية الخالصة التى يدعوها فى غير
حياء بلذة البطن . ويرد ايبكور على مخالفيه بقوله : « اننا
لا نستطيع ان ادرك الخير اذا الفيت من الحياة لذائد الذوق
والسمع والنظر والمتع الجنسية » وقوله أيضا : « بدون شهوة
يوجد سرور نفسى ولكن هذا السرور لا يكون ابدا الا من ذكريات
ماضى اللذائد الجسمية ومستقبلها وكذلك جميع المسرات التى
يخيل الى انها نفسية خالصة هى كلها مادية أو راجعة الى نتيجة

مادية . فمثلا لا يشعر الانسان في الصداقة باى سرور الا اذا تمثل فى الصديق انه يشبه تعهدا بالامن او نوعا من الضمان ضد الألم » .

ولقد وجد هذا الفكر الوثنى المنحرف امتدادا امينا له فى الفكر الغربى الحديث الذى بدأ يزدهر فى اواخر القرن الثامن عشر وفى القرن التاسع عشر . ولعل نظريات النشوء والارتقاء من اهم نتاجه . وهى النظريات التى شغلت عقول مفكرين كثيرين منذ ذلك التاريخ الى يومنا هذا والتى اتخذت اهميتها من معارضتها للمعتقدات الدينية من جهة ومن محاولة بعض انصارها نفى هذه المعارضة من جهة أخرى — اقول ان الفكر الوثنى وجد له امتدادا امينا فى الفكر الغربى الحديث لأننى لاحظ ان العالم الالماني جوستاف كلم KLEIN (١٨٠٢ — ١٨٦٧) يقيم نظريته التطورية على مبدئين اولهما ثنائية السلالات البشرية بتقسيم الجنس البشرى الى قسمين : شعوب سلبية ليس لها القدرة على الاختراع والابتكار والخلق وتعيش على النقل والتقليد ويدخل فيها الزنوج والغول والفنلنديون والمصريون والطبقات الدنيا من المجتمع الاوروبى . وشعوب ايجابية نشيطة ومن اهمها شعوب الجرمان التى ينتمى اليها ذلك العالم . وهو نفس التقسيم الذى قال به ارسطو من قبل . وكان داروين معاصرا لكلم ونشر كتابه « اصل الأنواع » فى عام ١٨٥٩ وهو الكتاب الذى تضمن نظريته فى ربط الانسان بالأرض ونفى صلته بالسماء .

ولا بد ان اشير هنا الى سيجموند فرويد ذلك اليهودى الماكر الذى جعل من نظرياته فى التحليل النفسى محاولة أخرى لاحكام ربط الانسان بالأرض والقضاء على كل أمل فى اتصاله بالسماء . فهو يزعم ان جميع الظواهر النفسية سواء كانت شعورية او لا شعورية كانت سوية او مرضية تصدر عن قوى ديناميكية

اساسية تنبعث عن التركيب الفسيولوجى الكيمايى للكائن الحي . وتسمى هذه القوى بالفرائز . وهى الطاقة التى تصدر عنها جميع ظواهر الحياة ثم نسب الى الكبت الجنى كل الامراض النفسية التى يصاب بها الانسان . ودعا الى تحرير غريزة الجنس من قيود الدين وتقاليد المجتمع . ولقد وافقت دعوته هذه هوى فى نفوس الشعوب الغربية التى ضجعت من الكبت الذى فرضته العقيدة الدينية واسبغت عليه الكنيسة حمايتها . كما صادفت هوى فى نفوس شبابها خصوصا بعد الحرب العالمية الاولى .

ويتعاون مع فرويد على تدمير القيم الانسانية فى المجتمعات الغربية علماء الاجتماع الذين قال بعضهم عن الاسيرة انها ليست اصلا من اصول حياة الانسان بحيث يمكن ان يلفظها المجتمع فى اى وقت دون ان يخشى خطرا يهدده او يعوق مسيرته وتقدمه وتقال بعضهم الآخر انها ضرورة اقتصادية كانت قائمة بتملك الرجل وسائل الانتاج واضطرار المرأة الى الاعتماد عليه فى امالتها والى الاستسلام لانانيته . فاذا تغيرت الاوضاع الاقتصادية وشاركت المرأة فى ملكية وسائل الانتاج لم تعد بها حاجة الى الاعتماد على الرجل ولم تعد بالمجتمع حاجة الى الاسيرة . هذا فضلا عن ان الاقتصاديين يعرفون العمل بأنه كل جهد او نشاط فى عالم البالغين ينال الشخص فى مقابله اجرا ماليا او جزاء ماديا . وبذلك يخرجون من عداد القوى العاملة ربات البيوت .

وفى احضان هذه المفاهيم ترعرعت حركة تحرير المرأة الغربية وشملت طريقها نحو اهدافها وسارت فيه بخطى واسعة الى غايتها حيث المساواة المنشودة بالرجل . المساواة به فى الحقوق السياسية والحقوق الاجتماعية . وتفككت الروابط الاسرية الى درجة اثارت فزع بعض العلماء على مستقبل المجتمعات البشرية . بيد ان البعض الآخر يرى ان الاسيرة لم تنفك ولكنها تمكنت من تطوير نفسها

والسير بعلاقاتها نحو طراز جديد يمتاز بالزمالة أو الصحبة الأسرية كما يمتاز بالضبط الداخلى وذلك بدلا من العلاقات الأمرة أو المسيطرة ، وقد أطلقوا على الأسرة التى تسودها هذه العلاقات اسم « أسرة الصحبة » ويميزها عن الأسرة التقليدية روح الديمقراطية التى تسودها والحرية التى يتمتع بها أعضاؤها كما يميزها تغيير كبير فى مركز وعلاقة الزوج والزوجة نتيجة للتغيير فى الأساس الاقتصادى الذى تقوم عليه بسبب خروج المرأة للعمل وشعورها بالاستقلال والمساواة والتغيير فى سلطة الرجل التقليدية الذى جعل العلاقات داخل الأسرة تقوم على التفاهم والزمالة والتعاون . ويصبح البيت بالنسبة لأسرة الصحبة مكانا يلتقى فيه الزوجان والأبناء للنوم .

نخلص من هذا الى القول بأن مفهوم تحرير المرأة بمعناه الغربى هو مساواتها بالرجل من حيث حقه فى العمل السياسى والاقتصادى والاجتماعى والى تأكيد أن عملها التقليدى الذى مارسه عبر آلاف من السنين والمتمثل فى ادوار الزوجة والأم وربة البيت لا يعتبر عملا مستأهلا تخصصها فيه وتفرغها له لأن العمل عندهم كما ذكرنا هو كل جهد أو نشاط ينال صاحبه فى مقابله اجرا .

* * *

ثانيا : المفهوم الاسلامى

كانت علاقة الرجل بالمرأة محكومة عبر تاريخها الطويل بأمرين : تفوق الرجل الجسمانى واسطورة دينية اشارت اليها التوراة تلقى على حواء مسئولية طرد آدم من الجنة لا يزال الكثير من بنى الانسان يعتقدون بصحتها على الرغم من أن القرآن الكريم دحضها ولذلك كانت نقمة الرجل تحل بالمرأة كلما تكاثرت عليه

مقاعبا الحياة او تعاضبت مخاطرها وقد تعرضت المرأة بسبب هذين الأمرين لمظالم كثيرة في كل الشعوب المتدينة . أما المجتمعات التي لا تعرف شيئا عن أسطورة الطرد من الجنة فقد كان تفوق الرجل وحده سيد العلاقة فيما بينه وبين المرأة .

فلما جاء الاسلام ليرشد الانسان الى اسلوب الحياة الأمثل وليعلمه السلوك الذى يكفل له تحقيق رسالته على الأرض كانت علاقة الرجل بالمرأة وتنظيمها من أعظم اهتماماته . وحين نتأمل المبادئ التى أقام الاسلام عليها هذه العلاقة لا يثير دهشتنا غناؤها بالجمال والكمال لأننا نعلم انها من صنع مبدع هذا الكون العظيم سبحانه جل شأنه . فنرى فى البداية اهتمامه بالكشف عن فساد تلك الأسطورة الدينية . ثم نرى اهتمامه بترويض تفسوق الرجل الجسماني حتى لا ينحرف به لغير ما خصص له . ونرى أخيرا كيف جعل عمارة الأرض قسمة عادلة بينهما .

(١) فساد الأسطورة الدينية :

يتجلى اهتمام الاسلام فى الكشف عن فساد تلك الأسطورة واثبات براءة حواء من مسئولية الطرد من الجنة فى قوله تبارك وتعالى :

« ويا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقوبا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » الاعراف ١٩ - ٢٠ .

هنا يوضح القرآن الكريم أن ابليس وسوس لآدم وحواء معا وأن الويسوسة لم تكن لحواء وحدها مما يقطع بان المسئولية واقعة على الاثنين . ومع ذلك فانى أرى أن المسئولية عن الخروج

من الجنة غير موجودة أصلا . أما المسئولية عن مخالفته أمر الله
بالأكل من الشجرة فتأثم وإن كانت قد انمحت بالتوبة والمغفرة .
وانعدام المسئولية عن الخروج من الجنة يتضح من قول الله تبارك
وتعالى :

((وأذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة . قالوا
أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون)) البقرة ٣٠ .

فهذه الآية الكريمة تبين أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم
ليستخلفه في الأرض وهذا يعني أن السكن في الجنة لا يمكن أن
تكون له صفة الدوام . بل هو حالة عارضة مؤقتة بتحقيق الحكمة
من تقريره . هذه الحكمة يمكن استخلاصها من قول الله
تعالى :

((وأقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا إلا إبليس أم يكن من الساجدين . قال ما منعتك ألا
تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين .
قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من
الضالين قال انظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من
الضالين قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين
أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم
شاكرين . قال أخرج منها مذعورا مدحورا . لن تبعك منهم لأملأن
جهنم منكم أجمعين . وإيا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من
حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين))
الأعراف ١١ - ١٩ .

ويمكن ترتيب وقائع هذه الآيات الكريمة على النحو
التالي :

١ - تحول إبليس بعد أن عصى ربه إلى عدو مبين لآدم . فتد
كان خلق آدم نذير هلاكه إذ طرد من رحمة ربه .

٢ — طلب ابليس من ربه ان يمد في عمره الى يوم البعث العظيم فاستجاب له .

٣ — لما اطمأن ابليس الى ان الله سبحانه وتعالى استجاب لدعائه صرح بما سيكون عليه سلوكه مع آدم وذريته « قال فيما اغويتنى » .

٤ — عقب هذا التهديد مباشرة صدر امر الهى الى آدم يقول : « ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » .

وفي اعتقادي ان هذا الامر من مقتضيات العدل الالهى لانه يتيح لآدم وزوجه ان يعيشا في تجربة يأخذان منها فكرة عن قدرة هذا العدو الخطير الذى سيعايشهما على الأرض . ويتعلمان منها بعض أساليبه في تزيين الباطل ، حتى اذا نزلا الى الأرض وبدات عليها رسالتهما كانا على بينة من أمر عدوهما اللدود .

فالسكن في الجنة كان موقوتا ولا ريب . وكانت حكمته ذلك الدرس الذى يعتبر بحق أثرا خالدا من آثار العدل والرحمة الالهيين . ولذلك نرى القرآن الكريم يذكر ذرية آدم به في قول الله تبارك وتعالى :

« يا بنى آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلننا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون » الاعراف ٢٧ .

(٢) ترويض التفوق الجسمانى :

تفوق الرجل في الجسم أحدث على مر السنين اوضاعا في العلاقة بينه وبين المرأة لا يقرها عقل سليم ولا شرع قويم .

وتاريخ الشعوب حافل بأخبار الأوضاع المهيئة التي كانت مفروضة قبل الاسلام على حياة المرأة في المجتمعات الشرقية والمجتمعات الغربية على السواء .

ولقد قضى الاسلام على تلك الأوضاع بأحكامه العادلة التي قررها لتنظيم علاقة الرجل بالمرأة وبمبادئه التي تكفلت بترويض التفوق الجسماني حتى لا يضل ويستغل في غير غايته المشروعة .

كان اسوأ ما وجده الاسلام في مجتمع شبه الجزيرة العربية وربما في سائر المجتمعات البشرية عادة واد البنات وقد كانت وسيلتهم السهلة لتوثى العار أو الفقر أو هما مما ولقد رفض الاسلام هذه الوسيلة الباغية الظالمة ونهى عن تلك المصادة الوحشية . اذ قال الله في قرآنه الجيد :

« واذا بشر احدكم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في القراب . ألا ساء ما يحكمون » النحل ٥٨ — ٥٩ .

« واذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت » التكوين ٨ — ٩ .

ثم يضع ضوابط السلوك التي تكفل حماية الأنثى من الانحراف والتي تكفل الحفاظ على كرامة الفقراء . أما عن حمايتها من الانحراف والحفاظ على طهرها وكرامتها فكان بتحريم ظهورها في النوادي والمحافل والمجتمعات العامة وباعد بينها وبين ما يريب أو يبعث على الفتنة وحرم عليها أن تبدى زينتها . يقول الله تبارك وتعالى :

« وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله » الأحزاب ٣٣ .

« وقل للمؤمنات يفضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن

ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها ولا يضربن بخرهن على ديوبهن
ولا يبدن زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو
أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن أو نساتهن
أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأرية من الرجال أو الطفل
الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعام ما يخرين
من زينتهن ((النور ٣١ .

((يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيهن)) الأحزاب ٥٩ .

ومن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم :

— ((لا يخلون رجل بامرأة الا ذى محرم)) (١) .

— ((ما اجتمع رجل وامرأة الا كان ثالثهما الشيطان)) (٢) .

واما عن حفاظه على كرامة الفقراء فكان بتقريره مبدأ الزكاة
وجعله ركنا من أركان الاسلام الخمسة واعتباره حقا للفقير في مال
الغنى . يقول الله تبارك وتعالى :

((واقموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير
تجدوه عند الله)) البقرة ١١٠ .

((فات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير
للذين يريدون وجه الله)) الروم ٣٨ .

((والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم))
المعارج ٢٤ — ٢٥ .

وليس هنا بطبيعة الحال مجال لوضع صورة كاملة أمام
القارئ وإنما هي إشارة يفرضها البحث لبيان عظمة التشريع

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

(٢) رواه الترمذى وابن حنبل .

وكماله . ثم نتابع بعض آى الذكر الحكيم الذى استهدف ترويض
قوة الرجل حتى لا يعود الى بطشه بالمرأة وظلمه لها . يقول
اصدق القائلين :

١ — « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها
وجعل بينكم مودة ورحمة . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »
الروم ٢١ .

يقرر القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة ان المرأة قطعة
من الرجل أى من نفس معدنه وان من وظائفها فى الحياة
ان تكون سكنا له يجد عندها راحة نفسه واطمئنان قلبه
وهدوء باله . فلا ينبغى له ان يستعلى عليها او يبطش
بها . بل يجب ان تحكم المودة والرحمة العلاقة بينهما .

٢ — « وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وأنتم احداهن
فتظنن ان لا تأخذوا منه شيئا . أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا »
النساء ٢٠ .

٣ — « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتوهن فعسى ان تكرهوا
شيئا ويجهل الله فيه خيرا كثيرا » النساء ١٩ .

٤ — « الطلاق مرتان فامسك بمعروف او تسريح باحسان . ولا
يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتهموهن شيئا الا أن يقيما حدود الله »
البقرة ٢٩ .

فماذا تكون يا ترى الحكمة من هذا الاهتمام الشديد بترويض
قوة الرجل وسد طريقها الى الغلظة والفظافة ؟

ان عمارة الأرض — وهى رسالة الانسان — محتاجة الى
كل طاقات الرجل والمرأة فلا ينبغى لهما ان يبندا شيئا منها فى
صراع بينهما . بل يجب ان تكون الساحة والاثار دستور التعامل
بينهما . ويجب ان يقوم بينهما تعاون كامل نظيف من كل صور
الاثرة والاستعلاء .

(م ٣ — حركة تحرير المرأة)

(٣) القسمة السادسة :

أما كيف جعل الإسلام عمارة الأرض قسمة عادلة بين الرجل والمرأة فنعرفها من الهيئة التي خلق الله سبحانه وتعالى عليها كلا من الرجل والمرأة . والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » (١) .

ونحن اليوم — بما أحرزنا من تقدم في العلوم — أقدر على معرفة الهيئتين وأدراك ما بينهما من اختلاف وأدراك حكمته التي لا يمكن أن تكون غير تحديد الدور الذي يجب أن يقوم به الرجل والدور الذي يجب أن تقوم به المرأة .

وكان الدور الذي قام به الرجل والذي هدته اليه غطرته وفرضتها عليه هو العمل خارج البيت . أما دور المرأة فكان العمل في البيت . ولولا الفطرة لما قبل الرجل تعريض حياته لمخاطر العمل خارج البيت حيث كان عليه أن يجوب الوديان ويقتحم الغابات ويتسلق شعاب الجبال بحثا عما يحفظ عليه هو وزوجه وأولاده الحياة . بل لاستغل قوته وأكره زوجه على مواجهة تلك المخاطر ولأثر السلامة بالبقاء في البيت . ولكن الله سبحانه وتعالى خلقه قويا شجاعا شهما ليحمل قدرا من المسؤولية أكبر وأخطر بل أن الله جل جلاله حباه أيضا بحظ أوفر في العقل لتكتمل فيه متطلبات مسؤوليته .

وما أحسب التفوق الجسماني للرجل في حاجة إلى دليل فهو ظاهرة مادية ملموسة أثبتت وجودها عبر تاريخ البشرية الطويل . أما التفوق العقلي فلأنه ظاهرة غير مادية قد جحدته كثيرون وشكك فيه كثيرون استنادا إلى تفوق أحرزه بعض النسوة في مجالات علمية مختلفة مع أنه لا يعدو أن يكون استثناء من قاعدة عامة .

(١) رواه البخاري ومسلم .

وتفوق عقل الرجل على عقل المرأة يشهد عليه القرآن الكريم
كما تشهد عليه البحوث والدراسات العلمية :
فمن القرآن الكريم نستشهد بهذه الآيات البينات يقول عز
من قائل :

« واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل
وامرأتان ممن ترضون من الشهود أن تضل أحدهما فتذكر
أحدهما الأخرى ولا ياب الشهود إذا ما دعوا » البقرة ٢٨٢ .

والشهادة إعادة لوقائع شوهدت وأقوال سمعت واستيعاب
المشاهد وحفظ الأقوال وظيفه من وظائف العقل . والقرآن يؤكد
هنا أن قدرة العقل البشرى على الاستيعاب والحفظ والإعادة
ال دقيقة هي في المرأة أقل منها في الرجل . وعبارة « أن تضل »
الواردة في الآية الكريمة تعنى النسيان الذى هو نوع من أنواع
القصور في العقل . ويفسرها الشيخ محمد رشيد رضا في المنار
« بالخطأ والضياع وعدم الاهتداء » .

وهذه هي الحالة الوحيدة التى أجاز فيها القرآن الكريم
شهادة المرأة . أما الآيات الأخرى فقد قصرتها على شهادة الرجل .
يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت
حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم
ضربتم في الأرض فمصابكم مصيبة الموت » المائدة ١٠٦ .

« واللاتى ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن
أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت
أو يجعل الله لهن سبيلا » النساء ١٥ .

« فإذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف
واشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله » الطلاق : ١٢ (١) .

(١) باب الشهادة في كتب الفقه مبسوط تحت نفس العنوان
فليرجع اليه من شاء الاستزادة .

أما البحوث العلمية فنذكرها هنا لا تأييدا لما جاء في القرآن الكريم من إثبات التفوق العقلي للرجل على المرأة . ولكن لأننا نؤمن أن من أهم وظائف العلم مساعدة العقل البشرى على ادراك الحقائق القرآنية أو مزيد من الفهم لها . وهى حقائق يؤمن بها المسلمون ذوو الفطرة السليمة ويزداد ايمانهم بها رسوخا كلما تقدم العلم ونجح فى اكتشاف أسرار الكون . ونذكرها هنا أيضا لقطع السبيل على هؤلاء الذين لا يؤمنون الا بالعلم والادلة العقلية .

نشرت مجلة العلم والمجتمع التى تصدر بالعربية عن مجلة رسالة اليونسكو فى عدد ديسمبر سنة ١٩٧١ بحثين عن المرأة . احدهما بعنوان « النساء فى مجال العلوم » للدكتورة كاتلين لوتزديل . والثانى بعنوان « القدرة العقلية للمرأة ومتطلبات العلم » للدكتورة اليا نور ا . ماكوبى . وهما كما هو واضح خلاصة جهد امرأتين متفوقتين وليس من دراسات الرجل حتى يمكن الطعن فى نزاهتهما . وسنعرضها بايجاز فيما يلى :



البحث الأول — النساء فى مجال العلوم :

تقول صاحبة البحث ان القمة فى مجال العلوم لا يدركها الا عدد قليل من النساء وتؤيد هذه الحقيقة بالأحصائيات . ومن أهم ما ورد فى البحث :

١ — قال عالم فسيولوجى انه بالرغم من أن الجدل لا يزال قائما حول هل مخ الأنثى من قوة الفكر بمثل ما عليه مخ الذكر فانه مقتنع مع ذلك بأنه لو دربت عقول الاناث تدريبا منظما منسقا لقلت الأمراض بين نساء الطبقات العليا .

٢ — فى ١٢ مارس سنة ١٩٤٥ تم انتخاب صاحبة البحث ومارجورى ستيفنسون لعضوية الجمعية الملكية بلندن ومنذ ذلك الوقت لم تنتخب عادة أكثر من امرأة واحدة كل عام بالمقارنة بخمسة وعشرين أو خمسة وثلاثين رجلا . وحتى هذه النسبة — أى اختيار امرأة واحدة — تعتبر عالية إذا قورنت بالنسبة فى بعض المجمع العلمية الوطنية الأخرى ...

ولا يستطيع احد — هكذا تقول صاحبة البحث — حتى أشد انصار المرأة أن يدعى أن هذا يرجع الى التمييز ضد الجنس . الواقع انه لا يبلغ كثير من النساء مراكز القمة فى البحث العلمى بحيث تتوفر لهن شروط التأهيل اللازمة للترشيح للزمالة .

٣ — حوالى ٩٠ ٪ من الفتيات يتزوجن وينجبن أطفالا . وحوالى ثلث هؤلاء النساء المتزوجات سوف يرتبطن بعمل كامل أو جزئى خارج بيوتهن يتقاضين عليه أجرا وأنه ليسعبد جدا الحصول على أية مساعدة فى الخدمات المنزلية وبالتالي فالقيام بعملين فى وقت واحد وأداؤهما كليهما أداء حسنا يستلزم درجة غير عادية من التصميم والقدرة التنظيمية . ولا يتحتم أن تتلائم هذه السمات بالضرورة مع القدرة الفطرية على التفوق فى الرياضة أو الفيزياء ..

أما المرأة العزبة فكثيرا ما يحدث أن تقع على عاتقها مسئولية العناية بأحد الوالدين فى شيخوخته فى حين أنها هى تتقدم فى العمر ويصعب التوفيق بين هذا وبين عمل يستدعى صفاء الفكر فضلا عن قدر من الوقت الزائد عن المقرر لىكى يتسنى مباشرته على مستوى المسئولية التى تصاحب الأعمال ذات المرتبات العالية . فليس من الأمور التى تثير الدهشة مطلقا أن يكون عدد النساء اللاتى ينجزن مثل هذه المسئولية بل يرغبن فيها عددا صغيرا .



البحث الثاني — القدرة العقلية للمرأة ومتطلبات العلم :

تقول المجلة أن صاحبة هذا البحث لها بحوث عديدة في علم النفس الاجتماعى وتنشئة الطفل والاختلافات بين الجنسين . ويمكن تلخيص بحثها هذا فى النقاط التالية :

١ — ترجع أسباب الضعف النسبى لمستوى الانتاج العقلى للنساء الى أن الدور الاجتماعى للمرأة لا يتناسب مع الحياة العلمية اذا تورن بدور الرجل . فانه من الصعب على المرأة أن تتفرغ ذهنيا لمتابعة بحث علمى فى مجال من المجالات وهى تقوم بدورها كزوجة وام على الوجه الأكمل . ان ذلك فى الواقع أصعب بكثير من أن يقوم الرجل بنشاط علمى وذهنى ويقوم مع ذلك بدوره كزوج واب على الوجه الأكمل . كذلك فان الانتاج العلمى للحاصلات على درجة الدكتوراه لم يكشف عن تفوق غير المتزوجات اللاتى يماثلن الرجال من حيث عدم الانشغال بمسئوليات غير مهنية تضيق عليهن بعض الوقت وقد ثبت أن هناك عوامل تؤثر تأثيرا كبيرا على نشاطهن وبالتالي على انتاجهن العقلى . وقد تكون هذه العوامل هى المعاناة من مشاعر خاصة معوقة أو عدم وجود الدافع الإيجابى الذى يحقق الانتاج الأمثل .

٢ — دراسة الانتاج العقلى للمرأة فى مراحل عمرها تخمّل على الاعتقاد بأن مسئوليات الزواج والاطفال وما تتطلبه من وقت ليست السبب فى قصور انتاجها العقلى . إذ أن قصور قدراتها العقلية — يبدو بوضوح ويظهر تلقائيا قبل الزواج ويستمر هذا القصور عندها حتى فيها بين الخامسة والثلاثين والخامسة والستين من عمرها حين تكون المسئوليات الملحة الخاصة بتربية الأطفال فى العادة قد انتهت . بينما يبلغ الرجل فى هذه الفترة من العمر أقصى درجات الانتاج العقلى فى مجال تخصصه .

٣ - ان البنات ينظرن الى الأشياء نظرة عامة شاملة غير تحليلية . وتقول الدكتور اليا نور انه من الطريف ان البحوث العلمية التى أجريت فى ثقافات مختلفة تمتد من أوروبا الغربية حتى هونج كونج أثبتت ميل النساء والبنات الى الاعتماد على النظرة الشاملة العامة للمواقف اكثر من ميلهن الى النظرة التحليلية .

٤ - هناك نوع خاص من الاختبارات به مسائل قننت لاختبار قدرة الفرد على الانتقال الذهنى من قاعدة فكرية مستعملة فى الحال الى قاعدة اخرى يستنبطها الفرد ويستدعى الموقف تشكيلا لمحاولة حل المشكلة بأسلوب جديد . وقد ثبت ان قدرات الرجال على أساس مثل هذه الاختبارات تفوق قدرات النساء .

٥ - فى مجال القدرة على التحصيل تقول الباحثة ان البنات يحصلن على درجات احسن من درجات الاولاد خلال سنوات الدراسة حتى فى المواد التى يحصل فيها الاولاد على تقديرات أعلى فى اختبارات التحصيل المقتنة . اما فى سن الرشد بعد التخرج من المدرسة فان الرجال يحرزون نجاحا يفوق نجاح النساء فى اى مجال من مجالات النشاط العقلى تقريبا خصوصا الذى يمكن التحصيل فيه كتابات الكتب وكتابة المقالات والانتاج الفنى والانجازات العلمية . وقد أظهرت احدى الدراسات الطويلة المدى التى تتبع بعض الأطفال الموهوبين ان الذكور منهم ينزعون فى الكبر الى تحقيق امكاناتهم وطاقاتهم الكامنة فى مهمتهم وفى الانتاج المبدع فى حين ان الاناث الموهوبات لم يحدث منهن مثل ذلك .

٦ - الخصائص التى تقترن بارتفاع معدل الذكاء ليست صفات انثوية . وقد سئل احد المشتركين فى الدراسة التى أجريت فى معهد (فلز) عن تاريخ وصفات النمو الواجب توافرها لكى تصبح طفلة ما شخصا يتمتع بالقدرات العقلية . فأجاب بأن أسهل رد

يمكن الاجابة عن هذا السؤال هو ان تكون الفتاة متصفة بصفات
الأولاد في فترة من فترات حياتها .

٧ — تقول الباحثة أن (بلانك) قام بدراسة عن قصص
حياة بعض شهيرات النساء في العلوم الرياضية اللاتي كتبنها
بأنفسهن . وقد اظهرت هذه الدراسة أن هؤلاء السيدات المتخصصات
في الرياضيات يشتركن في ظاهرة هامة . فكل منهن اشارت فيما
كتبت عن نفسها الى صلة تعلق قوية لدرجة غير عادية بآبيها في
مرحلة الطفولة اكبر بكثير من تعلقها بأمها . كما اشرن الى انهن
حاولن تشكيل انفسهن على شاكلة الآباء لا الأمهات .

٨ — اذا نجحت فتاة خلال سنى طفولتها في أن تحتفظ بصفات
النزوع الى السيطرة والاستقلال والكفاح بجذ . وكلها صفات
اساسية للتفكير التحليلي الجيد . فان هذا سيكون تحديا منها
للعرف السائد لما يجب ان يكون عليه سلوك الفتاة . وبالرغم من
انها قد تنجح في ذلك بطرق عديدة فان المعتقد انه ما من امرأة مفكرة
لها قدرات عقلية ممتازة الا دفعت ثمن ذلك في المعاناة من القلق
النفسى . والقلق له اضرار اهمها تأثيره على حياتها العاطفية وعلى
شخصيتها . كما يمكن ان تكون له آثار ضارة بنشاطها العقلى او
الفكرى . بل انه مدمر للتفكير الخلاق .

٩ — وفي النهاية تقول الدكتورة البانور ان ما سبق بيانه يبدو
مروعا لمن يريد للنساء ان يصبحن مفكرات لهن قدرات عقلية خلابة .
بل يبدو ايضا انه حتى لو كانت امرأة موهوبة ذهنيا ونجحت في
تنمية المزاج المناسب والعادات الفكرية التى تجعلها تستفيد من هذه
الموهبة فانه يجب عليها ان تكون جريئة شجاعة القلب ليمكنها ان
تتجاوز ضعف المجتمع من غير ان تتخطم ويمكنها ان تمارس نشاطها
الفكرى وهى سعيدة .

ونقل من الواضح ان الدكتور الينور - وقد عرضت في بحثها هذا الكثير من التجارب والدراسات التي تؤكد امتياز الرجل على المرأة في الانتاج العقلي المبدع - تتهرب من الاعتراف بفطرية السبب وتفضل رده الى ما تفرضه الأنوثة على المرأة من واجبات اجتماعية واقتصادية . ولذلك نراها تدعو الموهوبات الى الانطلاق من قيود المجتمع الذي يعيش فيه والتحرر من تقاليده حتى لا تخبو جذوة الموهبة التي تألقت فيها . وفي ظني ان صاحبة البحث تطلب المستحيل لان الانسان الذي لا يحفل بالمجتمع الذي يعيش فيه يوصف بالاستهتار ويفقد احترام الناس له . وذلك امر لا تقدم عليه امرأة تحترم نفسها .

ونضيف الى هذين البحثين بحثا ثالثا اطلعنا عليه في العدد الذي صدر يوم ٧ مايو سنة ١٩٧١ من صحيفة الاهرام وهو عبارة عن تلخيص لكتاب « بين الرجال » لعالم الاجتماع الكندي « لاينويل تايجر » الذي يرى ان العالم سيظل حتى الغد البعيد « عالم رجال » كل شيء يحدث ويدور فيه بين الرجال . وستظل المرأة اقلية مثل الزوج .

ويقول هذا العالم في كتابه :

« ان التقسيم والتفرقة والتمييز في العمل بين الجنسين ظاهرة جامدة لأنها مبنية على معتقدات ومحرمات تعارض حدوث اى تغيير فيها . وتمتد جذور هذه الظاهرة بعمق في طبيعة الحياة الاجتماعية للكائن البشرى . ففي جميع الحضارات نجد ان صيد الحيوان او السمك وصناعة الأدوات وصناعة التعدين وصناعة الأسلحة وغيرها اعمال من اختصاص الرجل فقط . اما المرأة فتقوم باعمال الزراعة الجيدة وتمارس الفلاحة وتحمل الماء رغم انه يتطلب مجهودا اكبر من بناء زوارق الصيد مثلا . علاوة على قيامها بالشئون المنزلية من اعداد الطعام وحياسة الملابس وغير ذلك . وهذا التوزيع

بين الجنسين في الأعباء يثير الاهتمام لأنه يوحى بأن جميع المجتمعات شعرت بأن التمييز في العمل بين الرجل والمرأة ضرورة .

« باختصار فإن الرجال الذين يكونون مجموعات صيد رجالية بحثة كانوا متفوقين في حياتهم وفي نسلهم . بينما الجماعات التي تسمح للنساء بمشاركتها في الصيد كانت تقل فرصتها في البقاء وربما يكون هذا هو أحد الأسس التي خلقت ووطدت الرباط بين الرجل والرجل . وإذا نظرنا الى الجماعة في مجموعها فلم يكن من مصلحتها مشاركة النساء في ممارسة الصيد لأنه في حالة الحمل من الممكن ان يحصل اجهاض كما ان المرأة معرضة لأن تجرح او تقتل ولذلك فإن النساء اللاتي كانت حياتهن مقصورة على الاهتمام بالأطفال وجمع الحبوب والنباتات وأنواع النشاط المتعلقة بصيانة البيت كانت فرصهن في التناسل اكبر من النساء اللاتي كن يعملن في الصيد . ولو كان الحال هكذا فإنه يفسر لنا المعارضة شسبه الجماعية في بعض الدول لعمل المرأة خارج البيت . وخاصة تلك التي لديها أطفال في سن صغيرة . كما قد يفسر لنا موقفا قريبا من هذا : احتقار النساء الجماعى للنساء اللاتي لم ينجبن أطفالا سواء اكان هذا الاحتقار يتخذ الشكل الكاريكا تورى للعانس الجافة بل والمجففة في الثقافات الأوروبية والأمريكية أو صورة المرأة العقيم في افريقيا وآسيا .

« وتوجد نسخة معاصرة تترجم عدم قدرة السيدات على الانجاب . وهى تتمثل في النساء اللاتي يشغلن مناصب هامة في مجال الأعمال المهنية . ففى امريكا الشمالية نجد ان ثلث العاملات في الكائنات النسائية غير متزوجات كما ان المتزوجات يملن عادة الى انجاب اقل عدد ممكن من الأطفال أو حتى الاستغناء عنهم تماما . وقد ترى في هذا الموقف صورة معاصرة للسباق التاريخي الذى ستاعد على البقاء أو المبالغة في السلوك الناتجة عن الفرق الجسماني بين الجنسين .

« ونلاحظ نحن أن النساء اللاتي يتبوأن مراكز هامة في المجال السياسي يعود الفضل في هذا الامتياز الذي حصلن عليه الى علاقة قرابة وثيقة وتعاون مع رجل سياسي توفى . ومن الأمثلة على ذلك السيدة سريمافو بندرانايكا أرملة رئيس وزراء سيلان وأنديرا غاندي ابنة الزعيم الهندي نهرو وأرملة سونى بات سن البطل الثورى الصينى ومسر الينون روزفلت أرملة الرئيس الأمريكى . وإذا القينا نظرة سريعة على الحياة السياسية في كندا فسوف نجد شيئا غريبا وطريفا . وهو اذا رشحت أرملة نفسها للمقعد الذى خلا بوفاة زوجها في الانتخابات الفيدرالية الجزئية تكون واثقة ١٠٠ ٪ من الفوز به . واحد أسباب تعيين الأرمال في المراكز الهامة يعود بلا شك الى الشعور بالعرفان والجميل الذى يشعر به زملاء الراحل للخدمات التى اداها في حياته . وهناك أيضا سبب آخر وهو أن الخبرة التى اكتسبتها الأرملة طوال شغل زوجها لمنصبه الكبير وعلاقاتها بزملائه ربما قد لفتت انتباههم الى مواهبها السياسية .

« اننى سياسيا اعتقد أن زيادة مشاركة المرأة وزيادة تأثيرها في المجال السياسى أمر مرغوب فيه . ولكنى كعالم اجتماع أخشى أن يكون من الصعب تحقيق ذلك . لأن المسألة ليست في الحقيقة مشكلة بسيطة متعلقة بالتعليم والتحرر . وانما هى في الواقع استعداد تمتد جذوره في اللاشعور . ولابد من اعادة شاملة في تكوين المجتمع السياسى حتى يمكن التغلب على هذه الصعوبات ... ان العالم سيظل في الغد القريب والبعيد أيضا عالم رجال ان النساء لا يتحدن فيما بينهن . لا يوجد تضامن بين النساء . فالمرأة لا تثق بامرأة أخرى علاوة على أن المرأة اقتصاديا وجنسيا تعتمد كثيرا على الرجل لكى تظل مترابطة مع النساء الأخريات . فكل واحدة تفكر أولا وقبل كل شيء في بقاء جماعتها الخاصة » .

لقد بينت كل من الدكتورة كاتلين لونز ديل والدكتورة اليانور ما كوى دور العقل عند كل من الرجل والمرأة . وبين الاستاذ لايونيل

تأجير رأى علم الاجتماع فيما يمكن تحقيقه من آمال المرأة المطلعة الى المساواة الكاملة بالرجل . وعلم الاجتماع لا يعترف فيما يبدو من تفسيرات الاستاذ تايجر بالفطرة الانسانية . لاننا نلاحظ انه غير عنها بقوله : « ان التقسيم والتفرقة والتمييز في العمل بين الجنسين ظاهرة جامدة لانها مبنية على معتقدات ومحرمات تعارض حدوث أى تغيير فيها . وتمتد جذور هذه الظاهرة بعمق في طبيعة الحياة الاجتماعية للكائن البشرى . »

ان الله سبحانه وتعالى خلقنا من ذكر وانثى ولا يمكن الزعم بأن الحكمة وراء ذلك هى التناسل لحفظ النوع واستمرار الحياة وحسب . والا فان الله عز وجل قادر على استخلاف انسان من جنس واحد يتناسل ويتكاثر من ذات نفسه . ومن ثم يجب ألا نختلف على ان عمارة الأرض التى هى رسالة الانسان قسمة بين كل من الرجل والمرأة وان القسمة يجب أن تكون عادلة وان تستمد عدالتها من قدرة كل منهما على ابداع حظه منها . ويجب أيضا ألا نختلف على ان الله سبحانه وتعالى يسر للرجل الوظائف الأساسية ويسر المرأة للوظائف المساعدة . وعلى انه قدم الرجل على المرأة وجعله قيما عليها واعطاه حق تأديبها والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض . وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغير بما حفظ الله . واللاتى يخافون نشوزهن فعضوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن . فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا » النساء ٣٤ .

كذلك فان الله سبحانه وتعالى قد بين أن القيادة الرشيدة لا تكون الا فى ذوى الاجسام القوية (بصحة وشجاعة وقدرة على المفاصلة) والمعتول المستنيرة بالعلم والمعرفة فيقول وهو اصدق القائلين :

« وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا . قالوا
انى يكون له الملك عايينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من
من المال . قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم
والجسم . والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم »
البقرة ٢٤٧ .

« قالت أحدهما يا أبت استاجرهِ ان خير من استاجرت القوى
الأمين » القصص ٢٦ .

فاذا أضفنا الى هذا ان الله سبحانه وتعالى لم يضع رسالته
في امرأة . لقوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى
اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » النحل ٤٣ .

« وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون » الانبياء ٧ .

ولم يجتمع ذكر الرجل والمرأة في آية من آيات الكتاب العظيم
الا تقدم ذكر الرجل . فالله سبحانه وتعالى يقول :

« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب
مما اكتسبوا والنساء نصيب مما اكتسبن » النساء ٣٢ .

« الا المستضعفين من الرجال والنساء » النساء ٩٨ .

« ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم »
الفتح ٢٥ .

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » النساء ١ .

« وان كانوا اخوة رجالا ونساء فالذكر مثل حظ الانثيين »
النساء ١٧٦ .

نخلص من هذا الى القول بأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق المرأة لتقود سفينة الحياة وانما خلقها ميسرة لمساعدة ريان السفينة وأعانته على قيادتها بنجاح الى شاطئ الأمان . فإذا تغلعت الى مقعد القيادة وسعت اليه تكون ظالمة لنفسها . وإذا نجحت في الوصول اليه تكون قد ظلمت ركاب السفينة .

ولا ينبغي أن نفهم أو نعتقد أن ما يقتضيه هذا التفوق من **استئثار الرجل بالقيادة والرئاسة** تفضيل له عند الله على المرأة . اننا اذن نرتكب خطأ كبيرا . بل هو التنظيم المحكم الدقيق والتوزيع السليم العادل للمسئوليات والواجبات . غيروا أن نساء المدينة بعثن بأسماء بنت يزيد الانصارية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه حرمانهن مشاركة الرجل في الجهاد والاستشهاد فقالت له :

« يا بئى انت وامى يا رسول الله انا وافدة من النساء اليك وما من امرأة كانت في شرق أو غرب سمعت بمخرجى هذا أو لم تسمع الا وهى على مثل رأى . ان الله بعثك الى الرجال والنساء غامنا بك واتبعناك . ونحن معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحاملات اولادكم . وانتم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعبادة المرضى وشهود الجنائز والحج وافضل من ذلك كله الجهاد في سبيل الله . وان الرجل منكم اذا خرج حاجا أو معتمرا أو مرابطا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم اثوابكم وربينا لكم اولادكم . افما نشارككم في هذا الخير يا رسول الله » فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم :

« انصرفي يا اسماء واعلمى من وراءك من النساء أن حسن معاشره احداكن لزوجها واطلبها لرضاته واتبعها لموافقته يعدل كل ماذكرت » (١) .

وهذا الحديث الشريف يشير الى الحقائق التالية :

(١) رواه البزار والطبرانى .

١ — الاسلام يأخذ ببدا التخصص فالمرأة لها ما ذكرت اسماء بنت يزيد الأنصارية والرجل له ما وراء ذلك . ونضيف هنا قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « **اعملوا فكل ميسر لما خلق له** » وقد اثبتت تجربة الانسان عبر تاريخه الطويل أن التخصص هو السبيل الوحيد للاجادة والانتقان وأن الخروج عليه شطط وضياع .

٢ — ان المفاضلة عند الله سبحانه وتعالى ليست في نوعية العمل بل في اسلوب ادائه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ثواب الأعمال التي تقوم بها أسماء بنت يزيد وغيرها من نساء المدينة يعدل ثواب الأعمال التي يقوم بها الرجل وفيها الجهاد والاستشهاد في سبيل الله .

٣ — ان رياسة الأسرة حق للرجل ولا يجوز التمرد عليه . وأن على الأزوجة أن تحسن معاشرة زوجها وتطلب مرضاته . وقد بينا من قبل كيف أن الاسلام عمل على ترشيد هذه الرياسة وحمايتها من نزوع النفس الى التسلط والاستعلاء . وغاية هذه الموازنة خلق الجو الصالح للعمل المبدع وللحياة الزوجية السعيدة .

وقد اقتضى كمال التشريع في الاسلام الا يجعل لولاية الرجل على المرأة سلطانا على حق ملكية الأزوجة . فقرر لها حرية كاملة في أن تملك وأن تتصرف كيفما تشاء فيما تملك . بينما الزوجة في أوريا محرومة من هذه الحرية ولا تستطيع أن تتصرف فيما تملك الا باذن زوجها مهما تفوقت عليه علما واجتماعا ومهما كان لها من شأن وخطر بين قومها . كما أنها عند الزواج تضطر الى ترك الانتساب الى قومها ، وتنسب الى قوم زوجها ، ويتغير لقبها وكنيتها تبعاً لذلك .

المفصل الثالث

مفهوم تحرير المرأة في مصر

ما هو المفهوم الذي تأثرت به حركة تحرير المرأة في مصر وسارت على دربه ؟ أهو المفهوم الوثني أم هو المفهوم الاسلامي ؟ لمعرفة الاجابة الصحيحة على هذا السؤال يجب الرجوع الى مصادر يقينية لا يرقى اليها شك ولا تقبل ادنى قدر من الجدل . وقد حصلت على ثلاثة منها اولها محاضرة السيدة هدى شعراوى التى ألقتها فى قاعة يورت التذكارية بدار الجامعة الامريكية بالقاهرة يوم الجمعة ١٥/١١/١٩٣٥ والتى أشرت اليها فى الفصل الأول - وثانيها : بعض مقالات وتعليقات نشرت فى الصحف ، أما المصدر الثالث : فهو محضر « ندوة المرأة وأجهزة الاعلام » المنعقدة من الدورة الثانية للجنة المرأة العربية . ونوجز كلامها فيما يلى :

١ - محاضرة السيدة هدى شعراوى :

قالت السيدة هدى شعراوى فى محاضرتها تلك :

« ولولا أن الخديو اسماعيل خشى من أن يحدث تطور المرأة السريع ضجة ومقاومة من رجال الدين فى ذلك الوقت لأعطى المرأة المصرية فى عهده ، حرية تفوق الحرية التى تتمتع بها الآن . ولنهضت البلاد الى الدرجة التى كان يصيبها من رقى وتمدين » (١) .

(١) رجال الدين تعبير غير اسلامى وصحته علماء الاسلام .

وقالت ايضا فى ختام محاضرتها :

« يستنتج مما تقدم ان المرأة الشرقية لم تفل شينا من حقوقها الا عقب نهضة وطنية او حركة فكرية لمعاونتها للرجال فيها حيث تظهر فى غضون ذلك التعاون قوتها الكامنة وتتجلى مواهبها الفطرية التى يجهلها الرجل متأثرا بصورة المرأة المشوهة التى طبعتها فى وهمه العصور المظلمة والتقاليد الجائرة . كما تحققنا ان كل امة تشارك المرأة فيها الرجل اشتراكا عمليا هى اكثر الأمم نشاطا وانتاجا لاستغلال نصفها الذى كان مشلولا . ولما للمرأة من اثر فى بث روح الحماسة والغيرة بين أفراد الأمة » .

فتطور المرأة اذن كان يقاومه علماء الاسلام وهذا يعنى انه لم يكن ملتزما بأحكام السواك الاسلامى ويعنى كذلك ان نهوض البلاد وتقدمها ورقيتها مرتبط بهذا التطور غير الاسلامى .

والقول بأن كل امة شاركت فيها المرأة الرجل مشاركة عملية تضاعف نشاطها وانتاجها لاستغلال نصفها الذى كان مشلولا يعنى أن هدف تحرير المرأة العمل جنباً الى جنب مع الرجل ورفض القيمة الخالدة لأدوار الزوجية والأمومة وإدارة اقتصاد الأسرة .

٢ - مقالات وتعليقات الصحف :

(١) فى حديث لادكتورة عائشة راتب وزيرة الشؤون الاجتماعية نشرته الأهرام يوم ١٣/١١/١٩٧١ قالت :

« تحرير المرأة يعنى أن يخلق المجتمع فيها الاحساس الذاتى بالمسئولية تجاه عملها وبيتها ووطنها . كذلك تحرير المرأة يعنى أن توجد فيها القدرة على التفرقة بين كونها امرأة وامرأة عاملة »

وقالت عن مظهر التحرر الذى تقصده :

« ان تصل المرأة الى ان تسهم فى أعمال لم يكن متصورا ان

تسهم فيها من قبل . مثلا عندما زرت الاتحاد السوفيتي وجدت
النساء هناك يقمن بكل الأعمال حتى تقليم الأشجار وفي يوغوسلافيا
وجدتهن يشاركن حتى في بناء الكبارى والعمارات . هذه هي
المشاركة التامة في الحياة العملية التي تثبت أن المرأة في تلك البلاد
متحررة . ومعنى التحرر اليوم ليس هو المعنى القديم لسنوات
الأربعينات والخمسينات . وإنما يعنى أن تتخلص المرأة من كافة
القيم القديمة والعادات البالية لتستطيع أن تنطلق مع العصر الحضارى
الحالى الى أبعد ما تستطيع أن تنطلق . والمرأة العربية اليوم عليها
أن تثبت أنها جديرة بأن تكون والافن تكون » .

يمكن أن نستخلص من حديث الدكتورة عائشة راتب الحقائق
الآتية :

١ - أن تحرير المرأة يعنى إفساح المجال أمامها لتحمل قسطا
من المسؤولية عن العمل في مختلف القطاعات بالإضافة
الى مسؤوليتها عن العمل في البيت مع تأكيد قدرتها على
الموازنة بين المسؤوليتين .

٢ - أن مما يدعم تحرير المرأة إصرارها على مشاركة الرجل
في الأعمال البدنية الصعبة مثل بناء الكبارى والعمارات
وتقليم الأشجار .

٣ - أن تحرير المرأة يقتضى التخلص من كافة القيم القديمة
والعادات البالية لأنها تعوق انطلاق المرأة مع العصر
الحضارى الحالى الى أبعد ما تستطيع أن تنطلق .

ولعل أخطر ما في حديث وزيرة الشؤون الاجتماعية ربط تحرير
المرأة في مصر بالتخلص من كافة القيم القديمة والعادات البالية .
لأن تعبير كافة القيم القديمة ينصرف الى القيم الإسلامية التي عاشت
في مجتمعنا منذ الفتح الإسلامى والتي حكمت بدرجات متفاوتة سلوكنا
عبر قرون عديدة . أما العادات البالية فأعترف أن فيها ما يناقض

الدين وأن التخلص منها لا يكون الا بالقضاء على الامية الدينية .

ب - نشرت مجلة حواء في عددها الصادر في ١٩٧٣/٣/٣ تحت عنوان « بين التحرر والسيطرة » مقالا ترد فيه على مواطن موظف جامعي كتب للمجلة يقص عليها كيف تحولت زوجته المثقفة المتفاهمة المتساهلة في كثير من الأحيان الى السيطرة والاستبداد والتعسف - تقول المجلة في بداية المقال :

« التحرر بمعناه الاصيل الواسع هو غاية نضال المرأة - وهو ما كادنا وما زلنا نكافح من أجل تحقيقه وأرساء قواعده السليمة . فبكل ما نملك من قوى نحارب عبودية المرأة وسيطرة الرجل التعسفية من أجل الوصول في النهاية الى بلورة العلاقة بين الرجل والمرأة على ضوء المفاهيم العصرية . وبما يكفل حقوقها الانسانية ويجعل لها كيانا له استقلاله واحترامه » .

وتقول المجلة في فقرة أخرى من المقال :

« فان تحرر المرأة وتحصل على كافة حقوقها لا يعنى على الاطلاق ان تلعب في الحياة وفي العلاقات الخاصة نفس الدور الذي كان يلعبه الرجل . وأن ما نرمى اليه هو أن تظل المرأة محتفظة بطابعها الانثوي حتى وهى تملك كل حقوقها . والمرأة السوية الشخصية مهما بلغت من العلم والثقافة والمركز ومهما تمكنت من حقوقها فهمي تحرص كل الحرص على أن يكون لشريكها منزلة ورأى وأن يكون بحكم رجولته وقوته وشهامته المسئول والحامى والموجه الذى لا يفل من شأنها ولا ينفى حقوقها أن تسترشد برأيه وأن تنفذ رغبته وأن تطلب معونته » .

والمجلة برأيها هذا تسعى او تدعو الى موازنة في العلاقة بين المرأة المتحررة على النحو الذى اشارت اليه والرجل وهى موازنة صعبة وان لم تكن مستحيلة . لأن هذا التوازن يتطلب عقولا مستنيرة

غاية ما تكون الاستنارة كما يتطلب دوافع منضبطة غاية ما يكون الانضباط أى أنه لا يستطيعه إلا الإنسان الكامل وهو غير موجود إلا في خيال الفلاسفة .

٣ — ندوة المرأة وأجهزة الاعلام :

هذه الندوة نظمتها لجنة المرأة العربية — إحدى نشاطات إدارة الشؤون الاجتماعية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية — وقد انعقدت بالقاهرة بمقر الجامعة يوم الاثنين ١٩٧٣/٢/٢٦ وكان موضوع الندوة « نظرة المجتمع الى المرأة من خلال أجهزة الاعلام » .

وقد أعدت إدارة الشؤون الاجتماعية ورقة عمل للندوة من أهم ما جاء فيها :

١ — « لذلك فإن اثر أجهزة الاعلام في تكوين عقيدة المجتمع تجاه أمر معين أو تحديد نظراته الى قيم معينة أمر غير منكور . بل ان أجهزة الاعلام قد استطاعت مع تنوع أساليبها وتقدمها أن تفرض على المجتمع أوضاعا معينة وأن تحمل الأفراد على اتخاذ موقف محدد حتى ولو كانوا في الأصل غير راغبين فيه . أو كانت تقاليدهم وخلفياتهم الثقافية والاجتماعية تفرض عليهم اتخاذ مواقف أخرى ربما تكون مخالفة تماما لما استطاعت أجهزة الاعلام أن تفرضه عليهم » .

ب — « فالمرأة ليست مجرد فئة من فئات المجتمع ولا هي عنصر من عناصره ولكنها تمثل نصف المجتمع وتعتبر مسئولة الى حد كبير عن تنشئة ورعاية نصفه الآخر أو هي مؤثرة على أقل تقدير في مسلك هذا النصف الآخر وتصرفاته . حتى أنه لن الممكن القول بشيء من

المبالغة بأن المرأة تمثل المجتمع بأكمله نصفه بالاصالة والنصف الآخر بالوكالة»

ج - « فإذا صورت المرأة دائما بأنها وراء كل انحراف - ولقد كان هذا التصوير ينصه وحرفه عنوانا ضخما في إحدى الصحف اليومية - فإن المجتمع معذور إذا وقر لديه اعتقاد بأن المرأة فعلا وراء كل انحراف . وإذا عالج برنامج من أنجح برامج التطبيقين - استغدادا إلى الإصرار عليه لسنوات طويلة - مشكلة العادات والتقاليد وجعل المرأة فيه دائما مثالا صارخا للتسعة وسوء التصرف والتوبة العارضة التي لا تلبث أن تنتقض ، فإن المجتمع ممثلا في جموع المشاهدين يمكن أن يعتاد في سر النظر إلى المرأة على هذه الصورة . وإذا ركزت العديد من المسلسلات الإذاعية على صورة المرأة التي تتحكم في رجال القرية وتحمل منهم القتل وتجار المخدرات فإن المستمع لا بد وأن تغلب عليه صورة المرأة على هذا النحو » .

وليس من شك في أن المرأة تشكل نصف المجتمع وانها مسئولة إلى حد كبير عن تنشئة ورعاية نصفه الآخر ومؤثرة تأثيرا كبيرا في منسلكه وتصرفاته . ومن ثم لا تكون ورقة العمل - وهي تعترف بهذا الحقيقة - متصفة حين تعترض على أجهزة الاعلام اذا عملت على وضع مسئولية المرأة في مكانها الصحيح . ولا يعنى هذا اعتقادى في أن تلك الأجهزة تؤدي رسالتها أداء حسنا . وانما هو الإشارة إلى تناقض كبير في فقرات ورقة العمل التي تضرب مثلا بأحد البرامج القليلة الجيدة الهادفة وهو برنامج « عادات وتقاليد » . فلا يهم عند واضعى ورقة العمل أن يكون البرنامج جيدا وهادفا ولكن المهم عندهم أن تكون صورة المرأة طيبة ومشرقة . وقد فاتهم أن

أجهزة الاعلام تهتم في أداء رسالتها بالرقابة والنقد أكثر من اهتمامها بالجيد من الأعمال . تلك طبيعة أجهزة الاعلام في المجتمعات النامية المثقلة أقدامها بقيود التخلف الاقتصادي والاجتماعي والفكري .

ولقد انعقدت الندوة في مساء الاثنين ٢٦/٧/١٩٧٢ برئاسة الدكتورة عائشة راتب وزيرة الشؤون الاجتماعية وحضور السيدات أعضاء لجنة المرأة العربية وبعض المدعوين على رأسهم الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وزير الدولة للتخطيط وليس بينهم واحد من علماء المسلمين أو رجال الكنيسة وسنرى بعد قليل أن السبب في عدم دعوتهم للاشتراك في الحوار يرجع الى اعتبارهم أصحاب فكر رجعى متخلف .

والباحث في الكلمات التي القيت في الندوة عن مفهوم تحرير المرأة في مصر يلاحظ أجماعا أو ما يشبه الإجماع على أن من أهم مقومات تحرير المرأة أن تقوم بنفس الأعمال التي يقوم بها الرجل وأن تكسب كما يكسب حتى تستطيع أن تخلع نفسها من سيطرته واستبداده . كما يلاحظ رغبة ملحة في تسخير أجهزة الاعلام لخدمة حركة تحرير المرأة داخل المفهوم الذى تؤمن به الحركة والقائمات بأمرها . وكانت السيدة أمينة السعيد رئيسة تحرير مجلة حواء أشد المتكلمين والمتكلمات وضوحا حين قالت :

« لذلك يجب أن يترك في يد المتقدمين فكرا وليس المتخلفين فكرا وليس المطالبين بتقصي أثر السلف الصالح . . . ولكن لا يستطيع أن ادفع الصحافة الى هذا الجزء القليل المتخلف الذى يقف في سبيل تقدم المرأة بدعوى التمسك بمبادئ السلف الصالح في كل شيء » .

« هناك دعوة الى أن تلجأ وسائل الاعلام الى طرح قضايا المرأة موضع الحوار . أنا في الواقع لا أوافق على هذه الفكرة وضد وضع قضايا المرأة موضع الحوار لأننى بالخبرة وجدت أن هذا الحوار غير

مجد بسبب تدخل عناصر ممثلة للأفكار القديمة البالية التي لا تساعد المرأة على التحضر مطلقا . الحوار يرهقنا بسبب هذه السلبية التي تفوق كل تقدم للمرأة ولو كان الأمر يبدى ما سمحت لأهل الفكر القديم أن يعالجوا شئون المرأة ونحن في بلد يسمى الى الحضارة ولا يسمى الى التخلف أو المحاولات التي تبرر الواقع المرير الموجود هنا . وحينما تكون مشكلة يتقدم هؤلاء بأفكار ليست لها دلالة حضارية » .

« كل ما أتمناه أن تكون هناك خطة للرقابة الحازمة ليس على المؤلفين لأن المؤلف يستطيع أن يصنع أى شخصية بعيدا عن الصورة الأصلية . ولابد أن تكون هناك خطة حضارية ولا أوافق أن تطرح قضايا المرأة للحوار إذا كنا نستهدف تقدمها لأن الحوار إما أن يقتصر على أهل الفكر المتقدم وإما لا يطرح نهائيا . والدليل مسألة تحديد النسل . أهل الفكر المتخلف نسفوا كل الجهود التي قامت بها الحكومات والهيئات في سبيل توعية الناس بكلمتين بأن قالوا هذا عمل غير ديني » .

اعتقد أنه يمكن بعد هذا البيان الحكم بثقة واطمئنان على حركة تحرير المرأة في مصر بأن المفهوم الغربي الوثني يحكمها فكرا وسلوكا . وشاهدني على سلامة هذا الحكم ذلك الأسلوب الهابط الذي استخدمته السيدة امينة السعيد في التعبير عن رأيها . فقد كان لزاما عليها - وهي الكاتبة العتيدة والصحفية الواغية - ألا تدوس بقدميها حرية الرأي وترفض الحوار النزيب وأن لا تخطأول على مقامات السلف الصالح الذين لا يمكن أن ترقى هي وكل من على شاكلتها الى مواطناء أقدامهم ! .

* * *

الفصل الرابع

تجربة قاسية

ان حركة تحرير المرأة الغربية سابقة على مثيلتها في مصر . فالأولى بدأت في أواخر القرن الثامن عشر والثانية بدأت في أواخر القرن التاسع عشر . والأولى سـاـرت في طـريق قليل الوعورة والثانية كان طريقها وما يزال شديد الوعورة . ولذلك حققت حركة تحرير المرأة الغربية أهدافها وبلغت المرأة غاية ماكانت تحلم به من الحرية والتحرر من سيطرة الرجل وعاشت حياتها منطلقة لا تقف ولا تتحرك الا بإرادتها الحرة . انها تعمل وتؤجر على عملها كالرجل تماما . ولم يعد يحكم علاقتها به غير الروابط التي تفرضها « اسرة الصعبة » وربما يكون مزاجها سيد تصرفاتها وحركاتها لقد عاشت المرأة الغربية التجربة التي نسج خيوطها داروين وفرويد وغيرهما من مفكرى أوروبا الذين ذاع ذكرهم وساد فكرهم

فماذا كانت النتيجة ؟ .

ما ينشر في الكتب والمجلات والصحف عن المرأة الغربية المعاصرة يساعد على ادراك المصير المحزن الذى انتهى اليه حالها وحال الأسرة في المجتمعات الغربية . وسأعرض هنا واقع حياة المرأة في بعض الدول الغربية :

(١) المرأة في السويد :

نشرت صحيفة أخبار اليوم في عدد السبت ٢٥ أكتوبر ١٩٦٩ مقالا بعنوان « السويد أو قاع الحرية » للاستاذ الصحفى انيس منصور نقتطف منه الفقرات التالية :

— ومن أغرب الأرقام في السويد أن ٨٠ ٪ من الفتيات لسن عذارى عند الزواج .

— وفى كل أسرة في السويد عندها فتاة فى العشرين من عمرها يوجد شاب صديق لها يأكل ويشرب وينام فى البيت . وكثيرا ما تدور مناقشات بين الأم والبنات وصديقتها فى مستقبل العلاقة بينهما . وقد تجيء هذه المناقشة بعد سنة من إقامة هذا الشاب فى البيت .

— وفى السويد من الممكن أن يترك لك الزوج زوجته إذا كنت ضيفا عنده ويرى أن هذا من مظاهر الكرم . ولكن المرأة السويدية تضيق بهذا الموقف لأنها تعتز على أن تذهب الى فراش الضيف ولكن لأنها تتصور أن زوجها هو الذى قدمها للضيف . أنها تريد أن تذهب الى فراش الضيف بمحض إرادتها وحريتها لأن الضيف أعجبها وليس بأمر من الزوج : فالزوج لا حق له فى أن يفرض عليها الفراش الذى يعجبه .

— والفرق بين الفتاة السويدية والفتاة الأمريكية أن الأخيرة تجد متعة فى أن تشترك وتشعل النار فىك . ولكن ليس من الضروري أن يكون بينكما أية علاقة بعد ذلك .

وأما السويدية فهى تبحث عن الود . عن الصداقة . عن الدفء . أما النار فتجىء بعد ذلك من نفسها . فالأمريكية لعبوب والسويدية جادة .

(٢) المرأة في إنجلترا :

نشرت صحيفة الأهرام يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٦٩ تحت عنوان « حديث الناس » للاستاذ الصحفى على حمدي الجمال ان أحد البريطانيين ضبط زوجته مع صديق له وعرضت القضية على المحكمة المختصة . وقد توجه قاضى المحكمة الى الزوج بحديث قال فيه : « يجب ان تعتاد هذه الأفكار العصرية ... ان مشكلتك أنك غنيق الفكر . لم يعجبك أن زوجتك ضبطت متلبسة مع واحد من أفضل أصدقائك . أنك تعيش في عام ١٩٦٩ » ويعلق الصحفى على حكم القضاء الانجليزى فى هذه القضية قائلا :

« معنى هذا الكلام ان سيادة القاضى يرى ان الانسان لى يكون عصريا وواسع الأفق ويجارى الوقت الذى يعيش فيه . فعليه ان لا يمانع أن تفعل زوجته ما تشاء مع أصحابه . وإذا كان هذا ما يحدث فى عام ١٩٦٩ فما الذى نتوقع حدوثه فى العام القادم والذى يليه وبعد عشر سنوات ... على هذا القياس فان العصرية تعنى فى نظر البعض انحلالا كاملا للمجتمع وقضاء نهائيا على القيم الأخلاقية ... بالأمس أباحوا الشذوذ الجنسى وأباحوا الأبناء غير الشرعيين الى غير ذلك من الجرائم . وها هم اليوم يطالبون الأزواج بالتفاضى عن خيانة زوجاتهم والله يعلم ما سيطالبون غدا ... اللهم احفظ مجتمعنا من هذه العصرية الجديدة واجعل مناعتنا ضدّها قوية صلبة فلقد أخذت هذه الأفكار تنتشر فى العالم بنفس السرعة التى تنتشر بها الأنفلونزا هذه الأيام . »

وقد اهتمت صحفنا بنشر انباء فضيحة جنس كان بطلها لورد لامبتون وزير الطيران البريطانى ولورد جيلكو رئيس مجلس اللوردات ووزير البحرية ويهمن من هذه الأنباء ثلاثة نشرت في صحيفة اخبار اليوم ونذكرها بترتيب اهميتها :

النسبة الأولى : حديث اللورد لامبتون يقول فيه (عدد ١٩٧٣/٧/٧)

« اعتقد ان السبب الوحيد الذى اثار الراى العام ضدى لم يكن لوجودى فى صحبة بائعات الهوى وانما لأننى عشقت فتاة سوداء من بينهن فلو اقتصر نشاطى على الفتيات الاوربيات وحدهن لما اثار الفاس ضدى . لقد اصبحت مستقبلى السياسى بسبب هذه السقطه لقد كنت ساذجا عندما ظننت ان علاقتى بتلك الفتاة ستظل فى طى الكتمان . لقد تعرفت عليها وعلى غيرها عن طريق شبكة محترمة لا تتعامل الا مع الشخصيات الهامة والكيرة ولديها من الوسائل ما يحقق الامان والضمن والسرية . ولكن شبكة الدعارة التى تعاملت معها كانت دون ذلك المستوى فسقطت فى حبال نورما ليفى وزوجها الذى قام بتسجيل وتصوير مقابلاتى معها وبيعها للصحف البريطانية وكانت الفضيحة التى كلفتنى مقعدى فى مجلس اللوردات » .

القبأ الثاني : اقترح من آلان مور احد شباب حزب المحافظين نشرته اخبار اليوم (عدد ١٩٧٣/٧/٢١) .

يطلب آلان مور من الحكومة البريطانية ان تفتح منزلا يدار للدعارة يكون التردد عليه قاصرا على الوزراء وكبار رجال الجيش والدولة . وتلخص الصحيفة الاقتراح على النحو التالى :

✱ اهتزت صورة بريطانيا امام العالم بسبب الفضائح المخجلة التى انكشفت اخيرا والخاصة بلورد لامبتون الذى التقطت صورته وسجلت احاديثه فى غرفة خاصة مع بائعات الهوى .

✱ وسبق ان انكشفت قضية اخرى مماثلة منذ ١٠ سنوات هى قضية كريستين كيلز التى كانت عشيقة لوزير بريطانى ثم وقعت فى غرام دبلوماسى سوفيتى واستغلها فى الحصول على ادق اسرار بريطانيا .

✱ وصاحب الاقتراح يرى انه من المستحيل ان يمتنع كبار المسئولين فى البلد من البحث عن اللهو فى صحبة أجمل الفتيات .

فالمسئول من البشر من السهل جدا أن يضعف عندما يتقابل مع فتاة جميلة ومن الصعب جدا أن نطالبه برفض دعوة لتمضية سهرة وريدية مع مانيكان أو مع نجمة سينما .

✽ ومن المؤكد أن نسبة لا تقل عن ٧٥ ٪ من المسؤولين لهم ملاقات خاصة وحياة ليل لا يعرف أسرارها غيرهم . . . أو هكذا يحاولون . كما أن الـ ٢٥ ٪ الباقية من المؤكد أن أصحابها لم يعرفوا حياة الليل ليس زهدا فيها وإنما لعدم وجود الفرصة أو لخوفهم من انكشاف أمرهم .

✽ وأصحاب حياة الليل من كبار المسؤولين يتعون دائما فريسة بين يدي بائعات الهوى اللاتي يعملن غالبا لحساب أجهزة مخابرات أجنبية ومعادية . . . وبالتالي تتساقط أسرار الدولة الواحد بعد الآخر . . عندما يفقد المسئول اتزانه . وتنحل عقدة لسانه تحت تأثير الخمر والجنس .

لكل هذه الأسباب والبررات يطالب الآن مور بأن تواجه الحكومة البريطانية هذه الحقيقة بشجاعة وتقدم على علاجها بكل أكثر شجاعة وهو افتتاح منزل يدار للدعارة ويختلف في إدارته وتشغيله عن باقي دور الدعارة التقليدية . فالمنزل المقترح يكون خاصا بكبار رجال الدولة . ولا يسمح لغيرهم بدخوله أو التردد عليه . ولم يكف صاحب الاقتراح بذلك وإنما قدم المزيد من خطوات التنفيذ منها :

— تتولى إدارة المخابرات البريطانية اختيار مكان هذا البيت . وتتولى أيضا اختيار مجموعة الفتيات اللاتي يعملن فيه .

— يمكن للوزير والقائد العسكري الكبير أن يتردد على هذا البيت الأنيق بمنتهى الحرية . بلا خوف من افتضاح أمره . . بلا حاجة إلى توتر أعصابه عند دخول بيت الدعارة أو الخروج منه . فجميع هذه الخطوات تتم تحت إشراف المخابرات البريطانية .

— وبذلك يمكن ضمان الاحتفاظ بسرية الدولة وضمن عدم وقوع المسئول في حبال عملاء أجنب أوقعوا به عن طريق فتاة جميلة خائنة لوطنها .

— كما ان هذا الاقتراح سوف يسعد المسئول البريطانى .

انتهى الاقتراح وبدأت الضجة حوله :

*** البعض رفض الفكرة ووصفها بأنها فكرة سخيفة وغير لائقة بحكومة المحافظين .

*** والبعض الآخر رحب بها وقال ان الدولة لن تحرم من مواهب وخبرات شخصيات كبيرة وسياسية مثل أنتونى لامبتون ولورد جيليكو وغيرهم .

*** والمتحمسون للفكرة قالوا ان فرنسا أخذت بها منذ فترة . ففى باريس ينتشر عدد من تلك الدور الخاصة جدا والتي يتردد عليها الصفوة .

*** والولايات المتحدة سبقت فرنسا فى هذا المجال فهناك فتيات يعملن باشراف وكالة المخابرات المركزية ولا يسمح لهن بالاتصال بأى (زبون) بما فيها الآراء المؤيدة والآراء المعارضة . الا عن طريق الوكالة . فهن مخصصات لكبار رجال الدولة .

وقد نشرت صحيفة الاهرام ايضا انباء هذه الفضيحة يوم ١٩٧٣/٥/٢٦ وفى الايام التالية جاء فيها ان عدد الوزراء الذين اشتركوا فيها بلغ اربعة كما اشترك فيها دوق وقاضية وشخصية كبيرة فى التلفزيون .

النبا الثالث : نشرته اخبار اليوم فى ١٩٧٣/٦/٩ تقول فيه :

« اعرب ٥٩ ٪ من البريطانيين عن اقتناعهم بأن الحياة

الشخصية للسياسيين أمر لا يهم أحدا آخر . وقال ٥٥٪ منهم إنه ليس من الضروري استقالة الوزير لأنه قام بعمل شخصي ما دام لم ينتهك القانون » .

عندما قرأت هذه الفضيحة لم أهتم بها لأنها تساعد على إدراك الحالة التي وصل إليها الشعب البريطاني وحسب ولكن لأنها ذكرتني على الفور بحماسة فيلسوف الأغريق الشهير أرسطو الذي زعم أن الشباب الأرستقراطي يعمل الفضيلة لذاتها ويأتى الخير ويتجنب الشر لا رغبة في مكافأة أو رهبة من عقوبة ولكن لأن نفوسهم نشأت مستعدة للخير وترعرعت بين أعطاف النبل والشرف .

وليست دلالة حديث لورد لامبتون قاصرة على تسرب الاحتلال الى أعلى مستويات المسؤولية وقمة الطبقات الاجتماعية بل تكشف عما وصل اليه الجنس من شيوع وانتشار تنظمه وتستغله منظمات أو شبكات استمتع اللورد بخدمات اثنتين منها .

ويلفت اقتراح الشاب المحافظ الأنظار الى أن هذه الفضيحة ليست الأولى في نوعها ويذكر المسئولين بفضيحة كريستين كير عشيقة أحد الوزراء البريطانيين منذ عشر سنوات . كما يؤكد أن ٧٥٪ من المسئولين لهم علاقات خاصة وحياة ليل . وتقول أخبار اليوم أن البعض رفض الاقتراح ووصفه بالسخف والبعض الآخر رحب به وقال أن فرنسا أخذت به . وأن الولايات المتحدة الأمريكية سبقت فرنسا فهناك فتيات يعملن تحت أشراف وكالة المخابرات .

(٣) المرأة الأمريكية :

في العدد ١٠٤ من مجلة كتابي الشهرية الصادر في يوليو سنة ١٩٧٠ تعريف بالكاتب الأمريكى « جون أب دايك » كواحد من اعلام الادب العالمى المعاصر وركزت المجلة في حديثها عنه على قصته المسماة « أزواج وزوجات » لأنه قصد فيها تعرية المجتمع الأمريكى

بأن كشف ما تحت مظاهر المدنية والحضارة من انحلال فاق الانحلال
الذى أودى بالامبراطورية الرومانية فى الماضى .

وقعت أحداث القصة فى « ماساتشوستس » حيث تتكشف
بدائية الديمقراطية الأمريكية — كما تقول المجلة — بصورة عجيبة
شاذة تتمثل فى علاقات أزواج وزوجات بلدة « تاربوكس » الذين
انغمسوا فى كتلة سوداء من الجنس المستباح . . ويكشف المؤلف
فى غير موارد عن غايته فى تعرية المجتمع الأمريكى الذى أصابه
الانحلال بدرجة لم يسبقها مثيل فى التاريخ مفرق فى أحوال الجنس
لا تردعه أخلاق ولا مثاليات ولا ضمير . ويقول « أب دايك » لقد
كثر الحديث القاسى عن أن الحب والجنس أصبحا القاعدة الجديدة
لمبادئنا الأخلاقية فأردت أن أوضح هذه القاعدة لاتساع هل هى شىء
مرغوب قيل بالفعل ؟ ثم سلط الأضواء على المجتمع فاذ بكل زوج على
علاقة آثمة بزواج رجل آخر . « تبادل بين الأزواج والزوجات » .

ومؤلف القصة — كما تقول المجلة — يؤمن بأن ماضى أمريكا
كان يتسم بالجواهر الطيب والصلاح الشامل . ثم قدر لهذا الماضى أن
يتغير الآن وذهبت معه الفضائل . ولكن « أب دايك » لا يرى أن هذا
الضياع الكامل نكبة ماحقة . وإنما يراه مرحلة من التجربة الأمريكية
ودافعاً يجب أن يؤدى الى الكمال . وقد أراد الكاتب انذار قومه
قبل انهيار مجتمعهم حين اختار لقصته موضوع الضلال الذى ساد
الحضارة الأمريكية حتى أصبح المجتمع الأمريكى اليوم شبيهاً بالمجتمع
الرومانى عند انهيار الامبراطورية . مع فارق واحد هو أن الرومان
كانوا يحاولون الخروج من جحيم اللذة فى حين أن الأمريكىين يحاولون
الانغماس فيه . . . ولقد اتخذت أبطال الرواية الجنس وممارسته
عن طريق تبادل الأزواج والزوجات — كما فعل الرومان من قبل —
ملهاتهم ومتعتهم وداءهم وعلاجهم وأملهم وخيبتهم
وثأرهم ومخدرهم وسبيلهم الاوحد للفرار من الملل ووسيلتهم الوحيدة
للتقارب والتعاطف ودرعهم الاوحد ضد الشعور بأن الموت قادم .

وإذا كان هذا الأديب « جون آب دايك » قد استغل مواهبه — قلمه وفنه وخياله — في رسم لوحة دقيقة معبرة عن حياة المجتمع الأمريكى المعاصر — فإن المجتمع قد عبر عن نفسه بعد ذلك تعبيراً يعجز عن محاكاته دقة وجراة أبرع وأعظم كتاب هذا الزمان . ففى يوم من أيام عام ١٩٧٠ سلطت الأضواء على ساحة القضاء فى إحدى المدن الأمريكية لمحاكمة زعيم التهيبز وبعض أتباعه على عدد من جرائم القتل اتهموا بارتكابها . ولقد نشرت جريدة الجمهورية على صفحاتها ثم فى كتاب الجمهورية يوميات مانسون زعيم الهيبيز متناولة تفاصيل ما دار فى جلسات المحاكمة التى كشفت عن التواضع الذى التزمه الأديب « أبديك » وهو يقدم لقرائه صورة مخزية للمجتمع الأمريكى المعاصر .

ومع أن منهج هذه الدراسة يفرض على أن أنقل للقارىء الكثير مما جاء فى تلك اليوميات إلا أن اعترافات المتهمين زاحرة بفاحش القول وهو الأمر الذى تأباه لغة القرآن الكريم ويرفضه خلق الإسلام . ولذلك اكتفى بالإشارة الى أن يوميات مانسون نشرت بالعدد ٢٧ من كتاب الجمهورية .

ولقد أتيج لصحنى مصرى أن يقوم بدراسة واعية للمجتمع الأمريكى وأن ينشر دراسته ومشاهداته فى عدد الجمهورية الذى صدر يوم الخميس ١٠/٨/١٩٧٢ تحت عنوان « أيام فى نيويورك الغابة المتمدنية » أنقل فيما يلى بعض فقراتها :

المجتمع الأمريكى مجتمع عجيب ... فيه من يملكون كل شيء وفيه من لا يملكون أى شيء مجتمع خلقت منه السياسة والاقطاع والدولار عالماً من عبدة المال ... عالم كله فسق والحاد وانحلال ومجون ... وأصبح الإنسان الأمريكى العادى مجرد آلة تعمل وتعيش بالتقسيم ... صحيح أن الفرد هناك يملك المنزل والسيارة (آخر موديل) والتليفزيون الملون وجميع وسائل الحياة الحديثة ولكن بالديون لأصحاب شركات الاحتكار والمال والتجارة ...

(م ٥ — حركة تحرير المرأة)

فمثلا هناك شركات تظن في الصحف والتلفزيون وبصفحات
كامطة (استلم سيارة بدون ان تدفع مليما واحدا وكل ما هو مطلوب
رقم حسابك في البنك واسمك بالكامل ورقم بطاقة العمل) وتكون
النتيجة . . . الديون والاقساط التي لا تنتهي . . حتى دفن الموتى
عندهم بالتقسيط المريح وتكون النتيجة ان تتضخم اموال الاحتكاريين
واصحاب رؤوس الأموال فيغرقون الأسواق كل يوم بمخترعات
جديدة وآلات حديثة وافكار جديدة فتفرق معها الأسر في بحر من
الديون والاقساط التي ربما طالت لعشر او لعشرين سنة .

مشغول دائما : ومن هنا فان الرجل الأمريكي اصبح مشغولا
دائما . . . بالسيارة الجديدة . . وبالمنزل الجديد . . ولذلك فهو
يعمل من الثامنة والنصف صباحا . . حتى الخامسة مساء ليتمكن
من تسديد الديون والاقساط . . . لدرجة قتلت فيه المشاعر الانسانية
والروابط الأسرية . . فهو وحيد بين أسرته واذا فتح الجريدة فانها
ليقرأ الأسعار والاعلانات واخبار الجرائم والقتل واذا جلس اوقات
غزائه امام التلفزيون فانها لمشاهد الكرة وافلام القتل والجنس
والاعلانات ويسجل ارقام تليفونات البائعين ليشترى ويبيع ويدفع
ويعلن تفليسته وهكذا تجده بعيدا عن العالم الخارجى . . وبعيدا
عما يجرى في الأمم المتحدة - وهى على بعد أمتار منه - وبعيدا عن
السياسة في الخارج والداخل ومشغول بنفسه عن نفسه .

وأما عظمة نهاية الاسبوع فمن الأسر الأمريكية من تذهب الى
الإرياف أو الى (المزادات) وهناك يعيشون المزادات ونشاهد في
أعداد يومئذ السبت والأحد من صحف نيويورك حوالى عشرين صفحة
اعلانات عن المزادات . . . فيأخذ الأمريكي سيارته ودفتر الشيكات
ويتجول من شارع الى آخر ومن مدينة الى مدينة وراء قلم حبر تاذر
أو خمرة طائلة أو تمثال مغشوش . ومن الطريف ان هناك بعض
المزادات بالتقسيط ايضا . أى ادخل المزاد واشتر ما تريد وادفع

مؤخرا ولا تظن انك ستهرب ... فلابد أن تدفع اليوم ... أو غدا
المهم انك ستدفع ...

ومعظم الأسر الأمريكية مشغولة عن أمريكا بحياتها ...
ومشغولة عن العالم بمشاكلها وأفراد الأسرة كل في عالمه الخاص ...
الأب ... لا يعرف أين زوجته ... والزوجة لها عملها ومشاكلها
وأصدقائها وخفلاتها الخاصة ... والبنت بعد الثامنة عشرة تعيش
حياتها بعيدا عن الأسرة وبمفردها ... والابن يترك المنزل والمدرسة
ليعمل بالثانوية فالتعليم الجامعي نفقاته باهظة ولا يمكن أن يتحمله
أى أب أمريكي دخله السنوى حوالى ١٥ ألف دولار ولذلك تجد
الآباء يطردون اولادهم بعد الثامنة عشرة فعليه أن يعمل ليعيش وأن
يلتحق بالجامعة مساء اذا اراد وعلى نفقته .

ولذلك فان الأسرة الأمريكية متفككة منحلة ملحدة لا تعرف
الدين ولا العبادة ... حتى الكنائس بيعت بالزاد ففى ولاية
نيوجرسى وحدها يوجد أكثر من ٥٠٠٠ كنيسة بيع منها ٦٠٠ كنيسة
بالمزاد العلنى .

الخوف من الشيوعية : والأولاد لا يتعلمون الدين فى المدارس
الفيت مادة الدين وتركت للأسر وللعائلات فكانت النتيجة الانحلال
لعدم وجود الحافز والخوف من الله ... الآباء انفسهم لا يعرفون
الدين تخرج الأبناء ملحدين أو مسيحيين اسما ... وحتى الديانة
لا يكتبونها فى شهادات الميلاد أو الباتسبورت أو البطاقة العائلية .

ولمواجهة هذه الموجات من عدم التمسك بالدين قامت الدولة
باصدار قانون جديد وهو أن كل من ينتمى الى عقيدة أو كنيسة
أو دين فان الدولة تعفيه من الضرائب الباهظة بنسبة ٣٥ ٪ فكانت
النتيجة أن معظم اقطاعى أمريكا وكلهم من الصهاينة راحوا يسجلون
اسمائهم فى دور العبادة اليهودية ويتبرعون لاسرائيل كجهة دينية
... الأمر الذى اصبحت به التبرعات الى اسرائيل تصل الى ملايين

الدولارات سنويا لا حبا في اسرائيل بل هروبا من الضرائب واما هدف الدولة من التمسك بالدين فلا حبا في الدين بل محاولة لمحاربة الالحاد وبالتالي خوفا من الشيوعية .

وحتى الزواج أصبح لا يعقد في الكنائس بل عند المسجل أو العمدة ... وأصبحت الأسرة الأمريكية يضرب بها المثل في الانحلال الخلقي وتتعجب عندما تعرف أن هناك ٢٥ مليون فتاة وسيدة أكثر من عدد الرجال ... ولذا كانت هناك أزمة زواج وأزمة طلاق ... فبين كل خمس سيدات واحدة مطلقة وكل مطلقة تعيش حياتها كما تريد والقانون يحميها طالما لا ترتكب الجنس خارج منزلها .

افعل ما تشاء ... بعيدا : وعلى الرغم من قوانين تقييد الطلاق العنيفة التي اصدرتها الدولة وهى تنص على أن كل مطلقة لها الحق في نصف ممتلكات زوجها ونصف دخله مدى الحياة وعلى الرغم من هذه القوانين فإن الطلاق زاد زيادة تهدد المجتمع الأمريكى ... لأن المرأة الأمريكية متبردة بطبعها ... جنسية بطبيعتها ... مغرورة ... متعجرفة ... منحلة ... لا تؤمن بالمثل ولا بالأخلاقيات ... فتسعى للطلاق لكى تعيش حياتها مطلقة وينصف دخل الرجل مدى الحياة .

لا تخرج وجدك : ولم أصدق نصيحة أحد المصريين هناك عندما قال لى : (أأخذ الخروج ليلا الا مع جماعة والأفضل داخل سيارة مفاخرة) أول ليلة خرجت فيها في نيويورك وقبل غروب الشمس وفى ميدان جورنال سكوير شاهدت شابا يطعن فتاة بمطواة طعنات جريئة وثقة ... وتفتت متبادلا بلا حركة .. فكل أحاسيسى توقفت عن الحياة ... فقدت الشعور تماما للحظات وخيل الى اننى أشاهد فيلها أمريكى وفجأة جذبتى صديقى المصرى قائلا : ان هذه الجرائم غريبة جدا ... تسببها البوليسى بعد هروب القاتل ... وربما يسوقنا أمامه بتهمة القتل ... وتشبهت الفتاة بالهواء ... ثم تمايلت وتسقطت أما الفتى فقد مسح الدم عن المطواة ... وبكل هدوء شق

طريقه بعيدا .. لا احد يقف .. ولا احد يسأل .. لا أحد ينقذ وقرات
في جريد الصباح أخبار جريمة ميدان جورنال سكوير .. وانتاقل
مجهول ..

اين بوليس نيويورك ؟ اين الحرية في بلاد العم سام ؟ واين
المدنية والحضارة ؟ .

اعتقد انك الآن عرفت لماذا يعطى تمثال الحرية ظهره لأمريكا .

واذا كانت غضيحة الجنس في انجلترا قد كشفت عن انفماس
أربعة من الوزراء ودوق وقاضية في الرذيلة فان الولايات المتحدة
الامريكية فازت بنصيب الأسد في الفضائح ذلك ان الصحافة حملت
الينا في شهر مايو ١٩٧٣ وما تلاه من شهور أنباء ما أسمته (فضيحة
ووترجيت) وهى الفضيحة التى كشفت عن تغفل الفساد فى البيت
الأبيض . وهو فساد لم يسلم منه رئيس الجمهورية نيكسون ولا
نائبه ومستشاروه .

ونختم هذه الصورة المحزنة المفزعة بخبر من نيويورك نشرته
صحيفة الأهرام يوم ١٩/٢/١٩٧٣ يقول : « زاد عدد الزوجات
اللاتى يهربن من منزل الزوجية من حالة واحدة فى كل مائة حالة منذ
عشر سنوات الى حالة واحدة من كل ثلاث حالات الان وخاصة
فى المدن الكبرى . اعلنت ذلك شركة تريسرز أف أمريكا وهى شركة
متخصصة فى تعقب الأشخاص المفقودين وقالت الشركة ان السبب
فى هذه الظاهرة هو حركة التحرر النسائية التى اصبحت لها أوسع
النفوذ والتأثير فى البلاد » .



الفصل الخامس

حركة تنوير لا تحرير

قد تكون المرأة الغربية على حق في استعمالها كلمات « جهاد ونضال وكفاح وتحرير » تعبيرا عن رغبتها في التخلص من استبداد الرجل وسعيها الى تصحيح مكانتها الاجتماعية . لأنها عاشت عصور الظلام محتقرة مستذلة من الرجل ومستعبدة . فلما جاءت عصور النور لم تتغير أوضاعها ولم تتحسن احوالها .

ولكن ليس من حق المرأة المصرية ان تستعمل نفس الكلمات وليس من حق حركة تحريرها ان تكون امتدادا لحركة تحرير المرأة الغربية لاننا اذا استعرضنا تاريخ علاقة الرجل المصرى وامراته لا نجد فيه ظلما ولا بغيا تقره الشرائع أو القوانين . وانما نجد في عهود الظلام ما يصاحب الجهل والفقر عادة من حماقات وسوء العادات .

ففى عصر قدماء المصريين كان لكل فرد فى الأسرة كيانه المستقل بما فيه من حقوق وواجبات . والمساواة بين الزوجين كانت مقررة وكاملة . فكانت الفتاة تتزوج بمحض اختيارها وكان لكل من الزوجين املاكه وأمواله يديرها ويتصرف فيها وفق ارادته الحرة . وكذلك كانت لأبنائهما وبناتهما نفس الحرية متى بلغوا سن الرشد . ويقول الاستاذ المؤرخ سليم حسن فى كتابه « مصر القديمة » ان

تعدد الزوجات لم يكن مباحا أو لعله كان مباحا ولكن بشروط ثقيلة يصعب تحقيقها . وفى عهد الاسرتين الخامسة والسادسة نشأت طبقة اقطاعية سيطرت على كل مصادر الثروة وحولت حياة الشعب الى جحيم . ذلك ان الفلاح والعامل والموظف الصغير صاروا انصاف احرار لا يجوز لهم ترك العمل عند اقطاعى للعمل عند اقطاعى آخر . وكانت الأرض تباع بمن عليها من فلاحين . وتغيرت المراكز القانونية لأفراد الأسرة التى أصبحت وحدة يمثلها رب الأسرة وهو الأب ثم الابن الأكبر من بعده فى ادارة ممتلكاتها والتصرف فيها . وتغير مركز المرأة تبعا لذلك فقد أخضعتها القوانين الجديدة لرب الأسرة خضوعا كاملا وسلبتها شخصيتها المستقلة وحريتها ومكانتها الاجتماعية المرموقة . وقد انتهت هذه الفترة العنصرية التى قاسى فيها كل من الرجل والمرأة الكثير من المظالم بثورة شعبية اعادت الحقوق لأربابها .

ولما حكم الأغريق مصر فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد راعتهم تلك الحقوق التى كفلتها القوانين المصرية للمرأة فأسرعوا الى تعديلها حتى لا تطالب المرأة الاغريقية بمساواتها بالمرأة المصرية . هكذا يقول الدكتور ابراهيم نصحنى فى كتابه « تاريخ مصر فى عصر البطالة » . وظلت المرأة المصرية تغانى من تشريعات وحكم الأغريق ومن بعدهم الرومان حتى جاء الاسلام بسماحته وعدله لينصف المرأة لا من الرجل المصرى ولكن من التشريعات الغريبة التى تضع المرأة فى مرتبة لا تحسد عليها .

وفى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى بدأ الزحف المملوكى على المجتمع المصرى ولم يمض وقت طويل حتى صار اليهم حكم مصر والسيطرة على ريفها وحضرها . ولم يكن المماليك مع اسلامهم يعرفون غير القليل من لغة الاسلام والقيل من أحكامه السمحاء . ومن كانت هذه حالة غلبت على أعماله المظاهر بقدر بعده وجهله بحقائق الدين الحنيف . فهم اول من

أوجد نظام الحريم في بيوتهم . وحملواهم في ذلك
المصريون الذين تقربوا اليهم وتملقوهم طمعا في مال أو جاه . .
وقد كانوا قلة غير محسوبة . أما الكثرة الغالبة من المصريات وتتمثل
في الفلاحات ونساء الأحياء المتواضعة في المدن فكانت بعيدة تماما
عن هذا التزمت الوافد على المسلمين من مركز تجارة الرقيق في جنوب
أوروبا ووسط آسيا .

وفي القرن التاسع عشر الميلادي تفتحت عيون المصريين على
المجتمع الأوروبي بعد قرون عديدة من التخلف هنا وقرون من التقدم
هناك . فكان أول ما انبهرت تلك العيون به سفور المرأة الغربية
وتبرجها . ومنه بدأ التفكير في تحرير تلك المرأة التي حبسها
الممالك وراء جدران خاص في قصورهم أسوة « الحرمك »

والدليل على صحة قولي هذا ما ثألته السيدة هدى شعراوي
في محاضرتها التي نقلت بعض فقراتها في الفصل الأول والتي تؤكد
أن الدور الذي لعبته الأميرة نازلي فاضل كان يستهدف تحرير أولئك
النسوة الشركسيات اللاتي خرجن من وراء أسوار حريم قصر الخديو
اسماعيل الى حريم قصور وبيوت الأمراء والعظماء ليكن زوجات لهم .
وهن الجوارى البيض اللاتي قام الخديو اسماعيل بتثقيفهن بمختلف
العلوم والفنون وقد نبغ عدد عظيم منهن في الأدب التركي والشعر
وفن التمثيل والموسيقى والرياضة البدنية كما تقول السيدة هدى
شعراوي . واعتقد أن الرقص هو المقصود بعبارة الرياضة
البدنية .

لم تكن حال المرأة المصرية هي التي حفزت الأميرة نازلي على
فتح صالونات قصرها والقيام بالدور الذي أشادت به السيدة هدى
شعراوي لأن المرأة المصرية كانت في ذلك الوقت مواطنة من درجة
دنيا لا تحظى هي وزوجها وأولادها بغير احتقار الأسرة الحاكمة

ومن دار في فلكها من اترك وشراكية واجانب — « السنا عبيد احساناتهم » كما يقول الخديو توفيق ولأن المرأة المصرية كانت تقبع في القرى في الأكواخ . وفي المدن في الأحياء المتواضعة اشد ما يكون التواضع . لم تحجل قط سجن الجريم ولم تخفى قط وراء حجاب . وكانت تؤدي ادوارها الاجتماعية كزوجة وام وربة بيت قدر ما تسعفها خبرتها الموروثة وكذلك كانت دائما في عون زوجها كلما كانت به حاجة اليها .

ان محاولات الخديو اسماعيل لجعل مصر قطعة من أوروبا كانت متعينة بالظهر أكثر من عنايتها بالجواهر ولذلك سادها الاعتقاد بان تبرج المرأة الغربية واختلاطها بالرجال كان من أهم وسائل تقدمها . فكان اهتمامه بجوارى قصره وكان اهتمام الأميرة نازلي فاضل بالدعوة الى تبرج المرأة المصرية ومحاكلتها المرأة الغربية . وهي الدعوة التي تحولت مع الأيام الى حركة تحرير المرأة المصرية والتي ظلت الى يومنا هذا امنية على مبدأ التبرج ومحاكاة المرأة الغربية بل ومنافستها في التزين والتجمل واطهار المفاتن .

وجدير بالذكر ان هذه الحركة عاشت فترة طويلة من عمرها في مجتمع فرض عليه التخلف قرونا عديدة بل ما يزال الى يومنا هذا يبدل جهودا جبارة لينفض عن بدنه وعقله بقايا كثيرة منه . والمجتمعات المتخلفة تكون عادة تربية خضبة للثقافات والافكار الوافدة عليها من المجتمعات المتقدمة . لذلك التمس العذر لحركة تحرير المرأة المصرية التي بدأت من فهم خطاىء للتقدم الذي حققته المجتمعات الغربية بظنها ان تبرج المرأة وخروجها للعمل كان من أهم انوسائل التي حققت ذلك التقدم . والتمس العذر ايضا فيمسا استعملت من الفاظ معبرة عن وجود صراع عنيف بين الرجل والمرأة ومصورة الرجل في صورة القوة الغاشمة التي تستضعف المرأة وتستذلها . ولكن بعد ثورة الشعب المصري عام ١٩١٩ وثوراته المنهية بثورة عام ١٩٥٢ تفتح العقل المصري على حقائق كثيرة .

وأصبح واضحا أن ما تعانيه المرأة من سوء معاملة الرجل لم يكن سوى واحد من مظاهر التخلف الإقتصادي والفكرى الذى فرض على الشعب المصرى . كان ضحيته الرجل والمرأة معا . ولم يكن سوء معاملة الرجل للمرأة مستندا الى شريعة او قانون . فالقانون السائد هو الشريعة الاسلامية وقد سبق بيان فضلها العظيم على المرأة . ولكن كان مستندا الى الجهل الذى أطبق على كل من الرجل والمرأة والذي اخلى الطريق الى منطق القوة الجاهلة .

كان المأمول اذن بعد أن انتشر التعليم وتحقق للعقل المصرى قدر من الاستنارة والترشيد ان يحدث تطوير فى حركة تحرير المرأة المصرية وتغيير فى اهدافها . فلا معنى لاستخدام كلمات « تحرير » ونضال . وصراع » بعد ما زالت عن العقول غشاوة الجهل . وظهر ان الرجل والمرأة بريئان من سوء القصد فيما كان يحدث بينهما وانهما كانا معا ضحية للقهر والتخلف اقول كان المأمول ان تتطور حركة تحرير المرأة فى مصر الى حركة تنوير تقوم رسالتها على تبصير المرأة بواجبها نحو مجتمعها الصغير وهو الأسرة ومجتمعها الكبير وهو الوطن . وعلى تبين القيمة العظيمة للعمل الذى يسرت له المرأة . فقد خلقها الله جلت قدرته لتكون زوجة واماً وربة بيت .

فالزوجة تفرض عليها ان تعمل على اسعاد زوجها وان تثرى حياتها معه بالقيم الانسانية النبيلة . ومفروض فى الزوج ان يكون سباقا الى مثل هذا . فاذا ما ابتليت المرأة بزواج غير سوى الفكر والسلوك كان عليها ان تعمل على ترويضه وتقويم اعوجاجه فى صبر وناة وجلد . وهى حين تنجح فى هذا تكون قد خدمت نفسها وخدمت وطنها . وعلى سبيل المثال فقد عرفت سيدة متزوجة من شاب يشغل وظيفة مرموقة ولكنه كان شديد القسوة عليها فظنا غليظ القلب فى معاملتها منحرفا فى بعض عاداته مستهترا فى بعض تصرفاته . ولم يكن متصورا ولا معتولا ان تطول حياتهما الزوجية معا .

ومع ذلك صيرت عليه وأحسنيت ترويضه وما زالت به حتى خلعت من قسوته وقومت / اعوجاجه ودفعت به في طريق الرجولة الكريمة . لقد كانت تقول دائما لأهلها أن زوجها مريض ولن تتخلى عنه . وصدق المثل الذي يقول « أن وراء كل رجل عظيم امرأة » والأمثال كما هو معروف حصيلة تجارب طويلة . وهو المثل الذي أشار إليه ساخرا ومنكرا الدكتور يوسف الحاروني في مقال سنناقشه في فصل لاحق .

والأمومة تفرض عليها أن ترعى أطفالها وتنشئهم على أسس علمية صحيحة سواء في مجال الصحة أو مجال التثقيف والتعليم وأن تفرس في نفوسهم مكارم الأخلاق وحب الوطن . والأم هي القادرة وحدها على أن تجعل من أولادها مواطنين صالحين قادرين على خدمة وطنهم مستعدين للتضحية في سبيله بالمال والروح . وسنرى في فصل (درس من التاريخ) الدور العظيم الذي قامت به أم الملك « أحمدس الأول » في نشئة ولديها على حب الوطن . وكيف ترجما ذلك عبليا في حرب التحرير من الاستعمار الهكسوسي .

وربوبة البيت تلقى على المرأة مسئولية ادارته ادارة علمية سليمة سواء فيما يتصل بالبيت كماوى أو كمجتمع بشرى . فمن حيث هو مأوى للأسرة ينبغي عليها أن تحسن تنسيقه وأن تبدع تنظيمه وأن تتقن تجميله . ومن حيث هو مجتمع بشرى فان مسئوليتها عنه يمكن حصرها في الخطة التي ترسمها لادارة اقتصاد الأسرة التي يجب أن تستهدف تحقيق المأكل والملبس الملائم والادخار . وإذا كان الادخار يمثل واجبا من أهم الواجبات الوطنية المفروضة على ربه البيت فان الوعي الادخارى الصحيح سيجعلها تستشعر مسئوليتها عن أى صورة من صور الاسراف الذى يعتبر بحق العدو الاول لاقتصاد الأسرة واقتصاد الوطن .

تلك هي الواجبات التى يسر الله جلّت قدرته المرأة لها . وهى

كما ترى جليلة الخطر ولا يمكن اداؤها باتقان الا بالعلم والعرق .
ومع ذلك فان علماء الاجتماع والمشتغلين بحركة تحرير المرأة
لا يعتبرونها عملا يستأهل أن تتفرغ المرأة له لأنه عندهم « عمل
طفولى » على حد تعبير احدى الصحفيات في الأهرام يوم
١٩٧٢/٥/٢ . وأنه لمن فضل الله على مصر أن نساءها لا يشجعن
حركة تحرير المرأة ويحرصن على احترام فطرتهن . هذه حقيقة
تعترف بها قيادات حركة التحرير كلما تحدثت عن معوقات الحركة .
مما سلفت الإشارة اليه في اكثر من موضع . وفي هذا المجال أنقل
ما نشرته صحيفة الجمهورية يوم ١٩٧٢/٧/١٣ لزوجة أحد كبار
المسؤولين اجابة عن سؤال عن واجبها الوطنى فى الظروف العصيبة
التي تمر بها بلادنا :

« اعتقد أن واجبى نحو وطنى يتلخص فى وقوفى دائما وفى كل
مرحلة وراء زوجى وأولادى فالزوجة المثقفة المتفهمة لطبيعة عمل
زوجها تكون جزءا لا يستهان به فى تمكين الزوج من القيام بمهام
عمله على أكمل وجه . وفى هذا ما فيه من واجب نحو الوطن .
كذلك الأم التى تحسن تربية أولادها وتعددهم ليصبحوا شبابا مؤمنين
بوطنهم مستعدين للتضحية من أجله مقدرين لواجباتهم نحو بلدهم
والمجتمع الذى يعيشون فيه تقدم لوطننا ضريته المفروضة عليها .
والمجتمع الذى يعيشون فيه تقدم لوطنها ضريته المفروضة عليها .
هذه هى الضريبة المؤجلة التى تظهر نتائجها بعد سنوات . أما
الضريبة العاجلة فهى العمل الوطنى فى مجال الخدمة الاجتماعية وبث
روح الكفاح والأمل فى كل من تقابلهم » .

ولكن حركة تحرير المرأة فى مصر ظلت ماضية فى طريقها مؤمنة
بالمفهوم الوطنى لتحرير المرأة رافضة المفهوم الاسلامى بكل ما فيه من
عدالة وسماحة . وليس الحوار الذى دار فى ندوة الاعلام بجامعة
الدول العربية وكذلك ما جاء فى تصريح الدكتور عائشة راتب وزيرة
الثقون الاجتماعية السابقة وفى محاضرة السيدة هدى شعراوى

هو لكن لما يمكن الاستشهاد به في هذا المقام . بل اننا نجد في الصحافة الكثير . ولعل من أهم ما اطلعت عليه ذلك المقال الذي نشرته صحيفة الأهرام في ١٦/٦/١٩٧٢ تحت عنوان « الرجل المطحون الكيان » لانه يكشف عن العقلية التي شكلتها حركة تحرير المرأة في مصر بل عن الروح العدائية التي اوجدتها هذه الحركة .

والمقال تلخيص لكتاب قالت المحررة الصحفية التي كتبت التلخيص ان مؤلفته خانت بنات جنسها لتدافع عن الرجل . واكتفى هنا بنقل العبارات التي قدمت بها للتلخيص . تقول المحررة :

« في ألمانيا الغربية وفي قرية صغيرة في ولاية بافاريا تبعد ٣٠ كيلو مترا عن ميونيخ تعيش في بيت كبير مع ابنها مارتن (٨ سنوات) أشهر امرأة في ألمانيا اليوم وغدا وفي العالم أجمع . كما انها أيضا أكثر امرأة مكروهة . . السبب انها خانت النساء ملنا ومضحتهن ووجهت اليهن اشنع التهم . هذه المرأة الخائنة هي (استرفيلار ٣٦) مظهرها كله عذوبة ونعومة . جوهرها كله خشونة ومزارة . حالتها الاجتماعية مطلقة . مهنتها طبية وعالمة اجتماع وأيضا أخصائية في علم النفس . ولكنها في اوائل هذا العام قررت ان تستبدل السماعاة الطبية بالقلم وتخلت عن رحمة الطببة الانسانية التي كلها حنان . وتحولت بوحشية الى نمره مفترسة . وراحت تكتب كتابها الذي عنوانه (الرجل المطحون الكيان) وفيه لا تدافع عن المرأة وقضية تحريرها كما هو المفروض وانما حاولت على العكس ان تثبت ان الرجل في عصرنا هذا مجرد عبد للجنس الضعيف الذي يسيطر عليه بكل طغيانه » .

« وهذا الكتاب — لان كل فصوله عبارة عن هجوم عنيف على المرأة — نجح نجاحا — ساحقا وقد ترجم الى ١٦ لغة ويحتل الآن راس قائمة أكثر الكتب التي تباع في الغرب . ومنذ ظهر الكتاب

والكاتبة الخائفة كلما قامت مرحلة في أى دولة تقوم للنساء فيها
بمظاهرات عنيفة تلعبها فيها وتذقها بوابل من الشتمات البشعة
بل وقد حدث أثناء زيارتها لفينا أن حاولت النساء ضربها . وفى
أوسلو توجهت حشود من النساء إلى دار النشر النرويجي التي
طبع كتابها وكتبن على جدران المبنى عبارات كلها سب . وأمام هذه
الحملات والمظاهرات الصاخبة ترد الكاتبة التي لا تعرف شيئا
عن التضامن النسائي ضد امبريالية الرجل بهدوء أوليمبي بدافعية
عن نفسها قائلة : « لقد وجدت أنه من الضروري أن اثبت للمرأة
أنها يجب أن تتغير ليس لأن الرجال يفرضون عليها طغيانا أبديا ولكن
على العكس لأن النساء جعلن من الرجل في مجتمعنا كيانا مروضاً
تماماً حتى تكون حياتهن سهلة » .

أنفى كتاب (الرجل المأخوذ الكيان) تظهر المرأة في صورة كلها
قسوة ومظالمة تضجها أدلة وبراهين توجع وتوسع مثل عضلة
الضمان أولدغة الفقر . أن المرأة في نظر هذه الطيبة الجامعة
والخشنة الجوهر غبية ولكنها سلطنة زمانها . ماية بحثها ولكنها
طاغية . ليس لها قلب ولكنها مستبدة . ومن هو ضحية هذا الوحش
ذو المظهر الضعيف الذي هو المرأة ؟ انه الرجل . الرجل الذكي
الطيب الشهم الشجاع الذي قهرته المرأة وسيطرت عليه وأستعمرته
وحولته الى عبد لها . وهذا الكتاب كما تقول استرفيلار كان من
المفروض أن يكتبه رجل ولكن حينئذ كانت نساء العالم سيوجهن
اليه تهمة انه كتب هذا الكتاب لينتقم من النساء لأنه كان تعيسا
معهن . وأنا لا أريد أن أخلق حركة تحرير للرجل مثل حركات تحرير
النساء التي تحتاج العالم . ولكن كل شخص يجب أن يجد لنفسه
الحلول المناسبة . بأن يبدأ بحل المشكلات الصغيرة . كما أن عليه
أن يربى أطفاله بعيدا عن قواعد آداب السلوك التقليدية التي هي في
الواقع العلامات الخارجية للعبودية . واليك بعض مقتطفات من
هذا الكتاب الذي سوف يهتف ويهلل له الرجال بينما سوف تلغزه

النساء وهو في الواقع يتضمن الكثير من الحقائق الصائقة ولكنه في نفس الوقت يتضمن أيضا بعض الاتهامات الكاذبة » .

ان كتاب « الرجل المطحون الكيان » واحد من أصوات بدأت تملو في المجتمعات الغربية منثرة بالعواقب الوخيمة لسياسة تحرير المرأة بفهمها السائد هناك . وكان ينبغي ان نصفى جيدا لهذه الأصوات العاقلة وان نتدبر ما تحمله لنا . ولكن الكلمات التي استخدمتها الصحفية في وصف مؤلفة الكتاب « امرأة مكروهة — هذه المرأة الخائنة — تحولت بوحشية الى نمره مفترسة — الكاتبة الخائنة — التي لا تعرف شيئا عن التضامن النسائي ضد امبريالية الرجل » هذه الكلمات قاطعة الدلالة على تفشى الفكر الغربى الانانى العدوانى بين نساينا المثقفات المعنيات او المشتغلات بحركة تحرير المرأة في مصر . وهو امر بالغ الخطورة على مستقبل شعبنا وأمتنا . ذلك ان الفكر الغربى يثير بانانيته وعدوانيته فتنة بين الرجال والنساء في مجتمع متدين ويثير في صدر المرأة المصرية العداوة والبغضاء ضد الرجل لانه يضوره لها انسانا انانيا مستغلا متجبرا متعاليا .



الفصل السادس

حوار

تنشر صحفنا الكثير من الأخبار والمقالات التى تخدم اهداف حركة تحرير المرأة . وقد بدا لى من المفيد دراسة بعضها والكشف عما قد يكون بها من بعد عن جادة الحق والصواب :

(١) نظرة الى المرأة المصرية المعاصرة :

مقال للدكتور سيد عويس نشرته الاهرام يوم ١٩٧١/٢/٨
هذا نصه :

« أصبحت الادوار الاجتماعية للأنثى فى مجتمعنا المصرى المعاصر عديدة . فهى الآن تؤدى دور الأم ودور الزوجة ودور الأخت ودور الابنة ودور القائدة او دور الزميلة فى المنظمات الاجتماعية او مؤسسات العمل كالأسرة او المدرسة او الجامعة او مكان العمل على تبين انماطه او جمعية الخدمة الاجتماعية او المنظمة السياسية ... الخ فضلا عن دور الجارة فى مكان السكان .

« والملاحظ أن المكانة الاجتماعية لدور الأم كواحد من الادوار الاجتماعية للأنثى المصرية فى ضوء قيم هذا المجتمع ومبادئه ومثله العليا مكانة مرتفعة جدا . على عكس المكانة الاجتماعية لمعظم ادوارها الاجتماعية الأخرى . وأتصد بالمكانة الاجتماعية هنا التقدير الاجتماعى الذى يخلعه المجتمع أو جماعته على عضو من أعضاء

المجتمع . وتتضمن عناصر هذا التقدير عادة الحب والخشية والاعجاب .. كلها او بعضها او واحدا منها .

« ونحن نرى أن هذا التقويم لمكانة الأنثى المصرية في ضوء ادائها أدوارها الاجتماعية الحيوية العديدة الأخرى لا يتمشى مع القيم التى من وراء العلاقات السائدة في مجتمعنا المصرى المعاصر . ومن ثم فهو لا يستند الى منطق سليم ويجب ان يتغير الى الأفضل بتغيير النظرة نحو الأدوار الاجتماعية التى تؤديها الأنثى المصرية من غير تفرقة بين دور وآخر ما دام الأداء سويا . فهى اذ تؤدى هذه الأدوار الاجتماعية أولا وقبل كل شئ انسانة لها شخصية اجتماعية تستحق كل تقدير . وبدون أداء هذه الأدوار الاجتماعية أداء سويا وبخاصة ما تعلق منها بتكوين الأسرة التوجيهية (أسرة الأب والأم والأخوة والاحوات) أو تكوين الأسرة التناسلية السوية (أسرة الزوج والزوجة والأطفال) لا يمكن تصور وجود المواطنين الصالحين في المجتمع .. ولن تكون الأسرة سوية الا اذا أصبحت المرأة فعلا وحقا شقيقة للرجل .. لها حقوقها الإنسانية وعليها واجباتها الاجتماعية في ظل قانون يعترف بها كإنسانة ذات كرامة تستحقها عن جدارة » .

« واذا كان المجتمع المصرى قد جرب سيادة معظم الأدوار الاجتماعية التى تؤديها الاناث فيه فترة من الزمان فقد آن الأوان في الوقت الراهن في ضوء الضرورة الاجتماعية ليراجع هذا المجتمع نفسه ويغير هذا الوضع الجائر . فالملاحظ في ظل هذا الوضع الجائر من وجهة نظر مصلحة مجتمعنا المصرى المعاصر أن الأنثى المصرية اقل عدوانا عليه من الذكر المصرى » .

ومجانبة الصواب في هذا المقال تظهر بوضوح فيما يلى :

١ — الاعتقاد بقدرة المرأة على أداء الوظائف السبع اداء سويا مع انه من المستحيل تصور وجود انسان رجلا كان أو امرأة له من القدرة العقلية والبدنية ما يؤهله للقيام بها على نحو مرض .

٢ — المطالبة بقانون يعترف بأن المرأة انسان لها كرامتها .
وكأنه لا علم له بالقانون الخالد الذى صدر منذ ١٤٠٠ عام والذى
نشر على العالمين فى كتاب أنزل على خاتم المرسلين محمد بن عبد الله
عليه الصلاة والسلام . تائبون الهى كرم المرأة كما لم يكرمها قانون .

٣ — الدعوة الى تخطى الرجل عن مقاعد القيادة والرئاسة
للمرأة لأنها أقل عدوانية على المجتمع . وهو بذلك يسقط تفوق
الرجل الجسمانى والعقلى كما يسقط خبرته التى اكتسبها من
ممارسته هذه الأعمال قرونا عديدة . واستشهاده بالأبحاث التى
دلت على أن الذكور من الأطفال أكثر عدوانية على المجتمع من الاناث
لا يؤيد وجهة نظره التى يدحضها ما قدمت من أدلة على تفوق الرجل
على المرأة فى العقل والجسم كما يدحضها واقع حياتنا المعاصرة .
فاسرائيل ترأسها امرأة ومع ذلك فقد اقترن حكمها بأبشع صور
العدوان على الشعوب العربية والهند ترأسها امرأة ومع ذلك لم
تتردد — عندما اتاحت لها الفرصة — فى شن حرب عدوانية على
باكستان — هذا فضلا عن أن المرأة فى مجتمعنا كانت وما تزال وراء
كل جرائم الثأر .

٢ — نحن نعلم المرأة اذا عاملناها كالرجل :

مقال للدكتور خليل مظهر نقلت مقدمته فى الفصل السابق ونقل
هنا الموضوع كاملا :

((لماذا كتب هذا : راقبت فى السنوات الأخيرة المرأة وهى
لا تكاد تخرج من نوع من الظلم الا لتتبع فى نوع جديد منه . أما
الظلم الكلاسيكى القديم فنعرفه جميعا حق المعرفة . فقد حرمت
به المرأة لأجيال طويلة من أشياء كثيرة أهمها التعليم والشخصية
المستقلة . كما حرم العالم من مجهود نصف البشرية فى المشاركة فى
كثير من الأعمال والمسؤوليات والانتاج وسررنا جميعا حين رأينا
الفتيات يدخلن المدارس ثم الجامعات ويشاركن الرجل فى كثير من

الأعمال . وبذلك تضاعف عدد المتعلمين كما تضاعف عدد العاملين ولا بد لى هنا ان اعترف كأستاذ جامعى أن المرأة أثبتت انها لا تقل عن الرجل فى هذا المجال بل وقد فاقتة فى بعض الأحوال . وكان لهذه التجربة معنى خاص عند المنصفين منا فقلنا ان المرأة تخلصت أخيرا من ظلم الرجل كما تخلص العبيد من ظلم الأسبياد وكما تخلص الفقراء من ظلم الأغنياء وبهذا تخلصت البشرية من ظلم الانسان لأخيه وساد العالم مبدأ (العدل والمساواة) بين جميع البشر مهما اختلف الجنس أو اللون أو المال .

وكنى من الجيل الذى رأى هذا التغيير وسر به أى سرور . ثم بدأت بعد ذلك لاحظ أمثلة من نتائج أو مضاعفات هذا التغيير هزت مشاعرى وبدأت سلسلة من المراقبة والتفكير تكلمت فيها كثيرا مع أصدقاء من الجنسين وبلورت أخيرا شعورى بضرورة الكتابة فى هذا الموضوع .

— آنسة تقالمن كل شهر أثناء الدورة الشهرية وتوافق هذه الدورة وقت امتحان المدرسة أو الجامعة وتصل هذه الآلام فى بعض الحالات الى التأثير فى نتيجة الامتحان وتحرم الطالبة من مجهود عام كامل بغير اثم ارتكبته . وطالبة أخرى تزوجت قبل انتهاء الدراسة ويأتيها من المخاض أيضا فى وقت الامتحان ما يضيع الامتحان . هذا والطالب الرجل معصوم من هذه المضاعفات والمعوقات .

— سيدة فى الشهور الأولى من الحمل تشكو مما تشكو منه الحامل فى هذا الوقت من حمول أو قىء وتحتاج لراحة خاصة حفظا على جنينها ثم تأتى عليها الشهور الأخيرة من الحمل يزيد فيها هذا الجنين حجما ووزنا . ويسبب لها كثيرا من المتاعب . كل هذا وهى تقوم بعمل وظيفتها جنبا الى جنب الرجل القوى المعافى .

— أم تنتزع من طفلها الرضيع لساعات طويلة لتذهب الى وظيفتها وتتركه تحت عناية شغالة بالمنزل ذات ثقافة قليلة أو عاملة فى دار حضانة ربما زادت عنها ثقافة وقلت عنها رافة ورحمة .

— زوجة حصلت على ثقافة تساوى ثقافة زوجها ووصلت الى وظيفة مثل وظيفته بما فيها من عمل ومسئوليات تبدأ يومها بملاحظة الواجبات المنزلية للعائلة وتعود من عملها لا للراحة التي يتمتع بها زوجها بعد الانتهاء من عمله بل لتستأنف واجباتها المنزلية . وعليها أن لا تهمل جمالها وهندامها أمام زوجها لتحفظ بجاذبية الأنثى وواجبات الزوجية . كل هذا والرجل غير مسئول عن شيء من هذه الواجبات المنزلية اللهم الا مسؤولية الناقد الشديد . والمفتش .

ماذا أريد أن أقول : أرى فيما رايت وذكرت ظلما واضحا على المرأة . ففى الماضى الظالم كانت المرأة مختصة بالواجبات المنزلية والرجل بواجبات العمل خارج المنزل . ثم جاءت ما سميت بالمساواة . فاستمرت المرأة مسئولة عن الواجبات المنزلية وزاد عليها واجبات عملها .. خارج المنزل . والمنطق البسيط يقول ان لا مساواة فى هذا ولا عدل بل فيه الظلم كل الظلم . فبهذا يكون نصيب المرأة فى العمل أكثر من نصيب الرجل .

وأرى أن الحل المنطقى لهذا الوضع المجحف بالمرأة لا يكون الا بأحد طريقين إما أن يتساوى الرجل والمرأة فى المسئولية داخل المنزل وخارجه أو أن يخفف من عمل المرأة (على الأقل فى ظروف خاصة) حتى يمكن أن تقوم بالواجبات المنزلية .

وسأبين أن تقسيم الواجبات المنزلية بين المرأة والرجل بالتساوى مستحيل لسبب بسيط جدا وهو أن جزءا هاما من هذه المسئولية لم يكن نتيجة التقاليد والعادات أو حتى ظلم الرجل للمرأة بل نتيجة أن الطبيعة نفسها قد خصت المرأة وحدها بجزء هام من هذه المسئوليات هى حفظ نسل الانسان وبقاء البشرية على وجه الأرض .

من هذا يظهر انى أميل الى الحل الثانى وهو تخفيف واجبات المرأة فى عملها فى الظروف التى تحتم عليها القيام بواجبات منزلية

هامة وخاصة بها وهنا ابدا بتقسيم علمى للواجبات التى تقوم بها المرأة فى المنزل — او بتعبير اصح — علاوة على عملها الخارجى حتى نرى اذا كان فى الامكان اقتسامها مع زوجها . فاذا لم يمكن ذلك بالعدل والمساواة فلا مفر اذن من تخفيف أعمالها خارج المنزل .

واجبات المرأة التى لا يقوم بها الرجل اليوم : وحتى يظهر ظلم الرجل للمرأة فى بعض هذه الواجبات او براءته فى بعضها الآخر فانى اقسم هذه الواجبات الى ثلاثة اقسام :

✽ واجبات للمرأة خصتها بها الطبيعة ولا يمكن للرجل ان يقوم بها .

✽ واجبات تجيدها المرأة ولكن يمكن للرجل ان يقوم بها .

✽ واجبات يمكن ان يقوم بها الرجل كالمرأة .

الواجبات التى خصتها بها الطبيعة : ان جميع المخلوقات تتمتع بالقدرة على حفظ نسلها حتى تبقى الحياة على وجه الأرض . والانسان يملك هذه القدرة ويندفع اليها بغريزة قوية تكاد لا تقاوم — غريزة التناسل — ولكن بعد اللقاء الاول الذى يشعر فيه الذكر والأنثى بمتعة جسمية ونفسية ينتهى دور الذكر ويبدأ دور طويل من المسؤوليات تتحمله المرأة وحدها حتى تظهر ثمرة اللقاء فى مخلوق جديد يمكن ان يستقل عن والديه ويحمل رسالة الانسان .

ودور المرأة فى هذه الوظيفة الانسانية الشريفة دور محفوف بالمناعب والآلام والجهد من دورة شهرية الى اشهر الحمل الى وضع الجنين ثم ارضاعه .. واود أن اتخيل ان الطبيعة لم تظلم المرأة عندما خصتها بهذه المسؤولية الكبرى ولكنها وثقت فيها وفى حبها لوليدها لتتحمل هذه المناعب والآلام (١) فحب الأم اقوى من أى حب آخر

(١) تعبير « الطبيعة » الذى يستخدمه الدكتور خليل مظهر تعبير غير اسلامى وهو يقصد غطرة الله تعالى التى فطر عليها المرأة .

وغريزة الأمومة أقوى بكثير من غريزة الأبوة ، وقد كافأها الله سبحانه وتعالى ووضع الجنة تحت أقدام الأمهات .

ولا أنوى أن أطيل في وصف آلام الدورة الشهرية عند بعض الأنسات والسيدات أو متاعب الحمل ومضاعفاته في الشهور الأولى والشهور الأخيرة منه وما يصاحب الوضع من جهد وآلم أو الأيام الأولى من حياة الطفل وما تحتاجه من عناية وحنان وعطف فكلنا يعلم ذلك . وقد وضعت بعض التسهيلات للمرأة كأجازة الوضع . ولكن أين أجازة الحمل أو أجازة الرضاع أو أجازة العناية بالطفل في الشهور الأولى الحرجة في حياته .

الواجبات التي تجبها المرأة : هنا يبدأ الجدل وتختلف الآراء ويقول البعض أن بعد انجاب الطفل تتساوى المرأة بالرجل في الاشتراك في الواجبات المنزلية . وأنا لا أنكر واجب الرجل في مساعدة زوجته في المسؤوليات المنزلية ولكني لا زلت أرى دوراً أو أدواراً لا تجبها إلا المرأة .

*** دور الزوجة :** ولا أقصد الأنثى بل أقصد شريكة العمر التي تقف بجانب شريكها وتشجعه وتؤازره في اليسر وفي العسر والتي قال عنها المثل أن وراء كل رجل عظيم امرأة .

*** دور الأم :** هذا الدور يجيء كامتداد طبيعي للحمل والرضاع والعناية بالطفل في الأسابيع والأشهر الأولى ومن يكون أقدر الناس على العناية بالطفل أكثر من الأم بعد أن حملته بين أحشائها ثم أرضعته من لبنها وأحاطته برعايتها ليل نهار في صحته ومرضه .

*** دور سيدة البيت :** ولا أقصد بهذا الجهود الجسماني الذي تقوم به المرأة في الأعمال المنزلية ولكني أقصد الجو الروحاني الذي يتصف بالجمال والنظام الذي تضيفه المرأة على المنزل الذي به امرأة والمنزل الذي حرم من هذه النعمة .

✽ **دور الممرضة وطبيب العائلة :** في الأمراض العادية لا يصلح رعاية المريض من الأولاد والزوج أكثر من الزوجة بما تتصف به من قدرة عجيبة على الصبر والسهرة والصنان .

الواجبات المنزلية التي يمكن أن يقوم بها الرجل والمرأة :

نتيجة لانتشار التعليم سيقول عدد الشغاليين بالمنازل أو ربما اختفوا تماما . وستقوم كل أسرة بجميع الأعمال المنزلية وقت حدوث هذا في البلاد التي سارعت في التقدم قبلنا ووجدوا الحل في تبسيط هذه الأعمال وفي تعاون جميع أفراد الأسرة - فصغر حجم المسكن وقل الأثاث وسهل تنظيفه . كما بسطت طريقة طهو الطعام وقامت الصناعة بأعداد جميع أنواع الآلات الكهربائية التي تساعد على أداء الأعمال في وقت قصير وجهد قليل وقد رأيت الرجال في أوروبا وأمريكا ينظفون السجاد والأثاث بالشفاط الكهربائي ويفسلون الملابس والأطباق بالآلات الخاصة بذلك . وارى في القريب العاجل هذه التغييرات في منازلنا ورجالنا .

الحل : أرى أن تستمر المرأة في تعليمها وعملها خارج المنزل ولكنى أرى أن من واجب الرجل أن يشاركها في الواجبات المنزلية كلما أمكن ذلك ولكن عندما تقف الطبيعة حائلا دون ذلك العدل فعملينا جميعا أن نخفف من أعباء عملها خارج المنزل لتقوم بوظيفتها المقدسة . وظيفه حفظ النسل ورعايته » .

من الواضح ان الدكتور خليل مظهر قد استجمع كل شجاعته ليبدى رأيا يعلم انه لا يرضى أنصار مساواة المرأة بالرجل . ولكن استشعاره بمسئوليته الوطنية دفعه الى استجماع كل شجاعته لينشر على الناس هذا الرأي . وقد استعمل بعض عبارات واصطلاحات لا أدري هل تعبر فعلا عن معتقده أم انه قصد بها التخفيف من وقع رأيه على المرأة وأنصارها . وعلى أية حال فاني لاحظ على مقال الدكتور مظهر :

١ - انه يسقط من حسابيه الفكر الاسلامى والتنظيم الاسلامى .

٢ - انه يعدد المتاعب التى تتعرض لها المرأة العاملة مستجيبا في تصويرها لآمانة مهنته . وكأنه صوت النذير لبنى وطنه .

٣ - أن المرأة والمجتمع كانا في غنى عن المشاكل والمتاعب التى تعتبر نتيجة حتمية للتمرد على طبيعة النفس البشرية .

٤ - انه يوجد اصرار على الخطأ . فيطالبون بعلاج للمشاكل بدلا من الاعتراف بالخطأ والعودة الى الأوضاع الطبيعية .

٣ - نحو نظرة جديدة الى المرأة : مقال للدكتور يوسف الحارونى نشرته صحيفة الأهرام بعددها الصادر فى ١٩٧١/١١/٢٤ . ويرد فيه على مقال الدكتور خليل مظهر :

« قضية المرأة ووضعها في المجتمع التى اثارها الدكتور خليل مظهر على صفحات الأهرام هى بلا شك احدى القضايا الأساسية فى عالمنا المعاصر . ويهمنى فى هذه الكلمة أن ألقى بعض الضوء على جوانب هذه القضية التى يبدو فيها وكأن المرأة قد ظفرت بالفعل واتخذت مكانها الصحيح مساوية رأسها برأس الرجل . وأن تحرر المرأة قد استكمل أبعاده واستوفى مقوماته حتى بدانا نحذر من الأغراق فى المساواة . وانا نظلم المرأة باسم مساواتها بالرجل . ولعلنى أبادر قبل الدخول فى الموضوع أن انبه الى أن الدراسة العلمية المثلى تقتضى بادئ ذى بدء التحرر الفكرى والتحلل النفسى من قيود الأوضاع والتقاليد وجبروت العادات والمعتقدات - وهى فى قضية المرأة بالذات ذات جذور عميقة وأغوار سحيقة عبر القرون البعيدة والأجيال العديدة . حتى يبدو وكأن الأمر الطبيعى أن تكون المرأة تابعة للرجل خاضعة له . وأنها ما خلقت الا لتكون فى المقام الثانى .

والحقيقة ان المرأة بشكل أو بآخر ما زالت كما هي وكما كانت دائما من قبل مجرد أداة في كل ميدان من ميادين الحياة تقريبا أداة لضمان تزويد البلاد بالسكان وأداة لتعليم الأطفال وأداة للقيام بأعباء المنزل وأعباء الزوجية لارضاء الرجل وأخيرا وليس آخرا أداة لسد حاجة الاقتصاد القومي الى الأعمال البسيطة الزهيدة الأجر. والواقع اننى اتناول قضية المرأة من موقف صعب ازاء مجتمع قد تطبع واستقر على انه عالم الرجل . وليست هذه النظرة المتجنبة قسرا على الرجل وحده بل الأمر من ذلك أن المرأة نفسها سجيئة هذه القيود والأغلال . فحيثما أجريت استطلاعات بين الشباب من الجنسين عن الآمال والأهداف من الحياة يكاد البنات يجمعن على ان الزوج وتكوين الأسرة هو اهم اهدافهن بينما تتسم نظرة الشباب بالطموح الاقتصادي أو المكسب المادى . وقد يقول قائل ان الخصائص البيولوجية للمرأة هى التى ترسم وتحدد دورها فى الحياة والمجتمع . لكن المرأة فى هذا الشأن ليست سوى انثى الحيوان المعروف باسم (الانسان العاقل) ومن هذا الموقع فان الأعمال الوحيدة التى انيطت بالمرأة ولا يمكن ان يتاهل لها الرجل هى الحمل والولادة فهل تدفعها هذه الوظيفة الى التقهقر الى الصفوف الخلفية وراء الرجل . هل هذه هى سنة الطبيعة . تجيبنا عن هذا السؤال البحوث والدراسات التى أجريت على مجتمعات الحيوانات وبصفة خاصة القرود - أقرب الحيوانات الى الانسان فى سلم التطور . فلقد وجد العلماء ان القرود التى تعيش فى ظروف آمنة لا يوجد لديها تقسيم للعمل ما بين الذكور والاناث بل تتشابه سلوك الجنسين الى حد بعيد فتسهم الانثى فى الحصول على الغذاء وملاحظة الجماعة ويشارك الذكر فى حمل الصغار وتربيتها وجميع عمليات رعايتها باستثناء الرضاعة . وقد يحسب البعض ان الرضاعة هى ركيزة الأمومة التى يقوم عليها ارتباط الطفل وتعلقه بأمه ومن ثم هدوء نفسه وإحساسه بالأمان . غير ان أحد العلماء انبرى لتحقيق هذه الفكرة بتجربة شهيرة استخدم

فيها اثنتين من دمي القردة زود احدهما بثدي يرضع الصغير لبنا
 بينما كسى الدمية الثانية بخمل ناعم دافئ واطلق على الدميتين
 صفار القردة فكان اتجاه الصفار ليس الى ذات الثدي التي تمنح
 الطعام بل الى ذات الخمل الناعم الحائى التى تشيع الدفء بالالتصاق
 بها والارتواء فى أحضانها . واستنتج العالم من ذلك ان اهم ما ينشده
 الطفل من أمه هو الحنان والدعة . ولئن قلنا ان صدر الأم حنون بطبعه
 فان الأب كذلك يستطيع ان يمنح الدفء والرعاية . ولقد اثبتت
 الدراسات النفسية ان الأطفال لا يدركون فوارق الجنس فى حياتهم
 المبكرة وان أعمال التنشئة والتطبيع هى التى تتولى بث هذه أنفوارق
 وغرس الاتجاهات المنمية لها . فتحدد الأوضاع النفسية بالنسبة
 للجنسين وترسم أنماط السلوك لكل منهما . والقوالب الثقافية
 التقليدية التى تتعصب ضد المرأة هى وحدها المسئولة عن الآثار
 العميقة والأوضاع الجائرة التى تميز قضية المرأة اليوم . ويكفى
 ان نتأمل ما فى لغتنا وأمثالها من تمجيد للرجل والرجولة وتحميلها
 معانى الصدق والشهامة والحكمة . بينما نلحق بالعنصر النسائى
 صفات الضعف والاستكانة والخضوع . ان المرأة تنفذ الى عالم
 الرجل بصعوبة بالغة . وغير صحيح ان الرجل يأخذ بيدها ويسمح
 بانطلاقها ويكفى ان نتناول بالدراسة والتحليل أهم مظاهر تحرر
 المرأة فى العصر الحديث ألا وهو خروجها الى نضيا العمل . فنحن
 نعلم انه فيما قبل الثورة الصناعية الحديثة جرى تقسيم العمل بين
 الرجل والمرأة . فيتولى الرجل أمر العمل خارج البيت للكسب
 والحصول على الدخل اللازم للانفاق على أسرته . وانيط بالمرأة
 العمل داخل منزلها لتهيئة المسكن وتدبير الأحوال المعيشية لأفراد
 الأسرة . وكانت تلك قسمة ضيزى . اذ كان عمل الرجل هو المرموق
 الذى يدر المال بينما اتسم العمل المنزلى بالهوان اذ لا يحس المرء ازاءه
 بالامتنان اذا أنجز وانما يصب لومه وتعنيفه اذا قصر فيه . وحين
 أفسح الرجل المجال للمرأة للحصول على عمل خارج بيتها غفل أو

تغافل عن العبء الذى يقع على كاهلها داخل بيتها وأدى خروج المرأة الى دنيا العمل الى تحملها بالعبئين — حيث تعمل نوبة فى المكتب أو المصنع ونوبة ثانية فى البيت لتؤدى الأعمال المنزلية التقليدية . وتدل الإحصاءات على أن المرأة فى الدول المتطورة تقضى فى أعمال البيت ثلاث أو أربعة أضعاف الوقت الذى يقضيه الرجل ذلك مع اغفال الوقت الذى ينفق مع الأطفال وفى شراء الحاجات وهو ما يقدر فى المتوسط بساعة على الأقل بالنسبة للمرأة المتزوجة العاملة ، ومن هنا ندرك بوضوح مدى الثقل الذى يقع على كاهل المرأة وحدها وهروب الرجل وتخففه من المشاوكة فيه . أن السؤال الذى يتردد فى هذا الصدد ، هل أعمال المنزل حقيقة ذات طابع انثوى لا تتفق أو تتماشى مع طبيعة الرجل ؟ هل تنظيف المنزل وغسل الملابس وشراء الحاجات وطهو الطعام واعداد المائدة وتجميل البيت وحتى التزين والاهتمام بالنظافة والمظهر جميعا أعمال ينبغى أن يعنى منها الرجل . أولا يقوم الرجل بالفعل بجميع هذه الأعمال إذا قدر له أن يعيش بغير أسرة ؟ ولماذا تتفق هذه الأعمال مع طبيعة الرجل إذا كان من طبقة الشغاليين أو الخدم ؟ أن إصرار الرجل على التخلّى عن دوره فى المشاركة فى هذه الأعمال لا يحمل سوى معنى الاثرة والاستعلاء ولا شك أن السيادة والخضوع هى أساس غير سليم فى العلاقات الانسانية . أن أسطورة (أن وراء كل رجل عظيم امرأة) يجب أن تتبدل بنموذج أكثر نضجا فلكى يكون المجتمع (لا الرجل) عظيما يجب أن يعمل النساء والرجال جنبا الى جنب لا على أساس أن واحدا خلف الآخر . وإذا شئنا أن نجعل معالم النظرة الجديدة التى نطالب بها نحو المرأة حتى نعالج قضية تحرر المرأة معالجة حقيقية جذرية فهى أولا أن يأخذ الرجل بنصيب حقا فى رعاية الأطفال وتنشئتهم فاحتضانه الطفل وأحاطته بالحنان ليس وظيفة بيولوجية مقصورة على الأم بل يستطيع الرجل أن يبلّى بدلوه فيها فيكافأ على ذلك بتعلق الأطفال وحبهم له . ثانيا : أن يقتسم الرجل عن سماحة وتقدير أعمال المنزل مع زوجته وأن يتنازل عن صلفه

في منزلة دور السيد . ان منزل الزوجية وعاء الطرفين . ينبغي الا يكون دور احدهما العطاء ودور الآخر الاخذ فقط . ثالثا : ان نحاول جهد الطاقة تغيير مظاهر التمييز الغربية في التنشئة الاجتماعية ما بين البنت والولد . وهذا الدور مناط بصفة أساسية بالقادة والادباء والمسؤولين عن التعليم والاعلام . »

لأن هذه المقالة رد على مقال آخر فقد احتوت على اهم الأسس التي تحكم وتوجه حركة تحرير المرأة في مصر . وأجدر آرائها بالمناقشة ما يلي :

١ — يقول ان الدراسة العلمية المثلى لقضية تحرير المرأة تقتضى التحرر الفكري والتحلل النفسى من قيود الأوضاع والتقاليد وجبروت العادات والمعتقدات . وهذا يعنى ان الدراسة لا تكون علمية الا اذا بدأت من فراغ وأنه يجب ان نلقى وراء ظهورنا تقاليدنا ومعتقداتنا الدينية ونتبع ما يستخلصه علماء الاجتماع باجتهدهم المحض من تجاربهم على الحيوان والانسان . وتجارب القردة وغيرها التي أشار اليها الدكتور يوسف الحارونى ان دلت على شئ فانها تدل على سخفها وسخف النتائج المستخلصة منها . ذلك ان النفس البشرية لا تعرف بتجربة معاصرة على عشرات أو مئات أو الوف من بنى الانسان وحسب وانما تعرف منها اذا أحسنت ومن أخبار الانسان في تراثنا من كتب تاريخية او ادبية او سماوية .

٢ — محور القضية عنده هو نماذج العلاقة بين الرجل والمرأة التي تجعل منه سيدا وهى تابعة . وقد غاب عنه أن تلك النماذج واقع مفروض على المجتمع بسبب ما كان للاستعمار من سيطرة . وهو واقع ضحيته الرجل والمرأة معا وليس المرأة وحدها . لقد فرض الاستعمار على الشعب الجهل والفقر دهورا طويلة . جهل في علوم الحياة وعلوم الدين مع فقر مدقع ومن ثم كان التفوق الجسمانى للرجل هو سيد العلاقة بينه وبين زوجه واولاده . فلما بدأت موجة

هذا الجهل تنحسر عن مجتمعنا أخذت علاقة الرجل بالمرأة تتغير إلى أحسن . وينبغى هنا أن نفرق بين الرجل « سيدا » والرجل « رئيسا » . أن كثيرا من دعاة تحرير المرأة يرفض أن يكون الرجل سيدا أو رئيسا للمرأة . ومما لا شك فيه أن علاقة الرجل بالمرأة لا يجوز أن تكون علاقة سيد ومسود لأن هذا مما يرفضه الإسلام الذى يقيم علاقتهما على الحب والاخلاص والايثار . أما رئاسة الرجل للمرأة فهي حق له ليس على المرأة فقط بل على الأسرة كلها — حق يفرضه التنظيم السليم ويقره العلم الحديث . فلا يوجد مجتمع صغير أو كبير بغير رئيس واحد . والمثل العامى الشهير يقول « المركب اللى فيها ريسين تفرق » وما أكثر المراكب التى غرقت فى المجتمعات الغربية بسبب تمرد المرأة على رئاسة الرجل للأسرة .

٣ — ترفض حركة تحرير المرأة فى مصر الأسلوب الديمقراطى وتفرض وصايتها على المرأة ففى ندوة الاعلام التى أشرت إليها قالت الدكتورة زينب السبكى : « اننى أصارحكم القول بأن بناتنا غير مقتنعات بالدور الذى يقوم به الجيل الحالى وهو دور مبرر لاشك فى ذلك وهن — أى بناتنا — يرغبن فى الانتهاء من دراستهن دون حماسة للأعمال النضالية أو الكفاح من أجل قضية المرأة » ويعترف الدكتور يوسف الحارونى فى مقاله قائلا « فحيثما أجريت استطلاعات بين الشباب من الجنسين عن الآمال والأهداف من الحياة . يكاد البنات يجمعن على أن الزواج وتكوين الأسرة هو أهم أهدافهن بينما تتسم نظرة الشباب بالطموح والنجاح الاقتضادى أو الكسب المادى . ومن الملفت للنظر أن تستعمل الدكتورة زينب السبكى عبارة « الأعمال النضالية أو الكفاح من أجل قضية المرأة » مع أن هذه الأعمال لم تكن فى يوم من الأيام سوى مطالب تقدم للمسؤولين ولا يصاحبها عنف ولا تقابل بعنف . فأين هو « الدور المميز » و « النضال والكفاح » الا أن يكون الهدف توسيع وتعميق الفجوة التى تفصل بين كل من الرجل والمرأة .

٤ — يرفض الدكتور الحارونى أن يكون للخصائص البيولوجية دور في رسم وتحديد دور المرأة في المجتمع كما يرفض أن تكون المرأة وراء كل رجل عظيم . ويريد أن تكون هي عظيمة أي هي التي تقوم بالعمل الذي ينفى العظمة .

ان هؤلاء الذين يقودون حركة تحرير المرأة في مصر والذين يؤيدونها يرفضون حكم الشريعة الإسلامية على حركتهم ويتفكرون للفكر الإسلامي الى حد وصفه بالتخلف والتصور وهم في هذا يقلدون الغربيين الذين تنكروا لدينهم وزعموا أنه كان قيداً على تقدمهم ووصفوه بأنه « أفيون الشعوب » . ان الدين المسيحي لم يكن قط قيداً على حرية الفكر في الدول الغربية ولا معوقاً لتقدمها . بل القيد والتعويق كان نتيجة لانحراف رجال الدين عن سماحة المسيحية الى التسلط والقهر . ومع ذلك فالتاريخ يؤكد ان الغربيين نقلوا عن المسلمين علومهم وطوروها واضافوا اليها في اوج تسلط الكنيسة كما يؤكد قيام النهضة الصناعية قبل أن ترتفع يد البابا الباطشة عن شعوب أوروبا . واذا كانت الكنيسة قد تصدت لبعض المفكرين فان مسئولية التصدي لا تقع على الدين المسيحي بل يتحملها رجال الدين المنحرفون .

واذا كان المسلمون يعيشون حياة كلها فقر وجهل ومرض فلا يمكن الزعم بان الاسلام هو الذى استدرجهم الى هذه الهوة السحيقة لأن التاريخ يشهد ان الاسلام انشأ من مجموعة الشعوب التي آمنت به أمة عظيمة ارتفعت في أركانها منارات الحرية والعقل والعلم . كما يشهد بانها ضيعت كل مقومات عظمتها عندما دخلت عن مبادئه وأحكامه فضعفت عن مقاومة الغزاة الأوروبيين الذين سلبوها كل ثرواتها بل وكل قيمها العظيمة .

فالتقدم العلمى الذى أحرزه العقل البشرى في الغرب هو كما ذكرت في الفصل السابق ظاهرة ليستة من لسنن الله في الكون . ليس

لزوال سلطة الكنيسة دور فيه ، كما أن تحرير المرأة لم يسهم فيه بنصيب ما لسبب بسيط هو تقدم الثورة الصناعية في أوروبا على ظهور حركة تحرير المرأة .

ولا ينبغي أبدا أن ينسى هؤلاء الذين يتحكمون على السلف الصالح ويصفون علماء المسلمين بذوى الأفكار القديمة البالية أننا شعب متدين تحكم حياته منذ ما قبل التاريخ الى يومنا هذا شرائع سماوية وأن حياته لم تزدهر الا مع سيادة أحكامها . ولذلك فإن نيل هذه الشرائع والاعتماد على الدراسات والأبحاث التي لا يمكن أن تكون نتيجتها يقينية دعوة ملحة يرفضها مجتمعنا — إنما تكون الدراسات والأبحاث مقبولة بل واجبة فيما ليس للإسلام رأى فيه .

قد يكون للمفكرين الغربيين الحق في الاعتماد الكامل على نتائج تجاربهم لأن تاريخ الكنيسة معهم خلق في صدورهم كثيرا من الكراهية للدين ورفضاً عنيدا لكل ما يأتى به . كما قضى على كل أهل في أن يثوبوا الى رشدتهم بالنظر في الإسلام والانتفاع بأحكامه . أعنى تاريخ الكنيسة — كان وما يزال يدفعهم الى حنابلة الطعن فيه .

ولكن ليس للمفكرين عندنا أن يقلدوا أسانذتهم الغربيين في الاعتماد الكامل على نتائج بدوئهم وتجاربهم في أى شأن يتعلق بالنفس البشرية . بل يجب عليهم أن يردوه للإسلام أولا فإن كان له رأى فيه فكفى الله المؤمنين هباء البحث والتجربة . وأن لم يكن له رأى فليبحثوا ما شاء لهم البحث وليجربوا ما شأعت لهم التجربة لأن الإسلام هنا يؤيد البحث والتجربة كل التأيد .

وليس لهم أيضا أن يهجروا منابع الفكر الإسلامى ويعرضوا عن ارتيادها مأخوذين بالفكر الغربى مبهورين بالتقدم الذى حققه

لجتمعاته . فليس كل ما فى الفكر الغربى جيدا وليس كل ما فى الفكر الغربى صالحا لجتمعاتنا .

لقد طالبوا بمنح المرأة حق العمل خارج البيت بدعوى انها تعيش فى فراغ وان قطاع الانتاج محروم من نصف السكان . فلها خدمتهم الظروف وخرجت المرأة للعمل مع الرجل فى الحكومة والهيئات والشركات نشأت متاعب ومشاكل للمرأة مثل رخصة الأطفال ورعايتهم اثناء ساعات العمل ومثل ارهاق المرأة بالأعمال المنزلية . وطالبوا الدولة بانشاء دور لحضانة الأطفال وطالبوا الرجل باقتسام الأعمال المنزلية مع زوجه حتى حضانة الأطفال يطلب الدكتور يوسف الحارونى الى الرجل أن يدلى بدلوه فيها . ومن المؤكد أنه عندما يتم ترويض الرجل على اقتسام أعمال البيت وحضانة الأطفال مع زوجه سيطلبونه باداء كل هذه الأعمال وحده لأن تكوينه الجسمانى القوى يجعله قادرا على الانفراد بها . وحينئذ سيعترفون بالفوارق البيولوجية التى ينكرونها الآن . وسيجعلونها سببا قويا لمطلبهم هذا .

ولكن هل تشغيل المرأة فى الحكومة والهيئات والشركات خدم الاقتصاد المصرى فعلا ؟ وهل مشاركة المرأة للرجل حققت لها الحرية وجلبت عليها السعادة وأخيرا هل عمل المرأة المصرية دفع مجتمعا فى طريق التقدم ؟

فأما عن خدمة الاقتصاد الوطنى فأعتقد أن حركة تحرير المرأة لا تستطيع ولديها امكانيات عظيمة وقدرات فائقة — أن تقدم دليلا ماديا واحدا على أن تشغيل المرأة قد عاد على الاقتصاد الوطنى بنتائج ايجابية — لأن الواقع يؤكد أن تشغيلها اضاف عليه عبئا ثقيلا .

فهو أولا قد تسبب فى نشر البطالة بين الشبان الذين حصلوا على مؤهلات عالية أو متوسطة . لأن الحكومة التزمت بعد صدور قوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية بتشغيل كل هؤلاء فى الوزارات والمصالح والهيئات والمؤسسات والشركات . ثم تبين لها انها تحمل

ميزانية الدولة اكثر مما تطبق فقررت ارجاء تعيين من تخرج في الجامعات والمعاهد العليا عاما زادت الى عامين ومن تخرج في المعاهد المتوسطة عامين زادت الى ثلاثة اعوام . والاحصائيات التالية تعطينا القارىء فكرة عن الاعداد الكبيرة من الشبان الذين يتكئون في الشوارع بلا عمل بسبب تشغيل المرأة :

The above is a list of the names of the persons who have been
 identified as having been in contact with the subject of this
 investigation. The names are listed in alphabetical order.

٧٢/١٩٧١	٧١/١٩٧٠	٧٠/١٩٦٩	٦٩/١٩٦٨	٦٨/١٩٦٧	
١٦٦٦٧	١٥٨٧٦	١٥٣٣٣	١٤٦١٨	١٥٢٥١	خريجو التكوير
٦٧.٩	٦٤٧٦	٥٧٣٨	٥.٨٤	٤٧٥٤	الجامعات
٢٢٨٨٦	٢٢٣٥٢	٢١.٧١	١٩٧٤.٢	٢٠.٥٥	المجموع
٧٢/١٩٧١	٧١/١٩٧٠	٧٠/١٩٦٩	٦٩/١٩٦٨	٦٨/١٩٦٧	
٤٦٣٨	٣٣٧٦	٣٥٤٩	٤٢٢١	٣٧٨٥	خريجو التكوير
١٤٧٣	١٥٧١	١٦٥٦	١٣٨٥	١٣١١	المعاهد
٦١١١	٤٩٤٧	٥٢.٥	٥٦.٦	٤٩٩٦	الطلبة
٧٢/١٩٧١	٧١/١٩٧٠	٧٠/١٩٦٩	٦٩/١٩٦٨	٦٨/١٩٦٧	
٤٨٢٨٥	٤٣٨٧٦	٤٠.٧٩٨	٣٥٨٤٥	—	خريجو التكوير
٢٢٤٧٥	١٩٤٩٩	١١١٦٠	١١٣٣٣	—	المعاهد
٧.٧٦٠	٦٣٣٧٥	٥٨٩٥٨	٤٧١٧٨	—	المجموع

ومن هذه الأرقام يتضح أن عدد الشبان العاطلين في آخر عام ١٩٧٢ كان :

$$١٧٢٥١٧ + ١٦١٦٧ + ٣٣٧٦ + ٤١٣٨ + ٤٠٧٩٨ + ٤٣٨٧٦ + ٤٨٢٨٥ = ١٧٢٥١٧$$

شبابا

ولقد بلغ عدد النساء العاملات في الدولة ٤١٢٠٠٠ عاملة في عام ١٩٦١ وارتفع هذا العدد الى ٥٤٣٠٠٠ عاملة في عام ١٩٦٩ بينهن ٣٤٨٠٠٠ بمؤهلات عالية و ١٣٣٦٠٠ بمؤهلات متوسطة وتكون جملتهن ١٦٨٤٠٠ عاملة . اى انه يوجد شبان عاطلون بما يوازي عدد النساء العاملات في مختلف أجهزة الدولة (١) .

وهو ثانيا لا يحقق الفرض منه من حيث انه مصدر دخل للمرأة يجعل منها ندا للرجل الذى يسيطر عليها ويتحكم فيها بسبب انفاقه عليها على حد زعم حركة تحرير المرأة — لأنها تنفق مايقرب من نصف هذا الدخل على التزين والتجمل ومناقشة زميلاتها في ملاحقة أحدث ابتكارات الأزياء . وحسبنا دليلا على ذلك الزيادة الكبيرة في عديمخالات التجميل وتصفيف الشعر والزيادة الكبيرة في استهلاك أدوات التجميل التى بلغ انتاجنا المحلى منها مقدرا بالجنيه :

عام ١٩٦٨ : ٣٠٠٨٦٠٠٠ — عام ١٩٦٩ : ٣٠٩٨٩٠٠٠ — عام ١٩٧٠ : ٣٠٠٧٩٠٠٠ — عام ١٩٧١ : ٣٠٩٤٣٠٠٠ — عام ١٩٧٢ : ٣٠٨٢٥٠٠٠ .

وهذه الأرقام تمثل الاستهلاك المحلى لأن قيمة الصادرات تعادل قيمة الواردات .

وهو ثالثا قد تسبب في هبوط مستوى الأداء فى القطاع الحكومى وفى القطاع العام لأن المرأة أقل قدرة من الرجل على الأداء — وتلك حقيقة ابتناها علميا وشهد بها الواقع الذى سجله الجهاز المركزى للتنظيم

(١) بترخيص من الجهاز المركزى للاحصاء .

والادارة فى أحد تقاريره السنوية — ولأن تشغيل المرأة كان زيادة عن حاجة العمل الى الأيدي العاملة . الأمر الذى أرقى ميزانية الدولة فعلا وغل يد الحكومة عن رفع الأجور الى المستوى الثلاثم مع الأسعار السائدة مما كان له أسوأ الأثر على نفوس العاملين . ولولا تشغيل المرأة ما تركت الحكومة أكثر من ١٧.٠٠٠ شاب مثقف بلا عمل عامين أو أكثر . وما ترددت فى رفع أجر العاملين الى المستوى الذى يكفل لهم حياة مريحة كريمة .

وأما عن الحرية بمفهومها عند حركة تحرير المرأة فلم تتحقق بعد ولا أظنها تتحقق فى مجتمع متدين كالمجتمع المصرى لأن العقيدة الدينية تضع خير الضوابط وأحكامها لعلاقة الرجل والمرأة وتمنح الرجل من حقوق الرياسة أو القيادة قدر ما يصون الأسرة من التمزق والضياح . وإذا فرض جدلا أن تحققت هذه الحرية لبعض النسوة فما أحسبهن سعيدات بها . إذ ليس ادعى إفساد الرجل والمرأة على السواء من حرية بغير ضوابط وقيود .

وأما عن التقدم الذى يمكن أن يحققه للوطن تشغيل المرأة فهو بغير شك وهم . لأن التقدم هو سمو فى الأخلاق ورفعة فى العلوم والمعارف تنعكس آثارها على الإنتاج والخدمات — ووفرة وجودة — وعلى التوزيع — عدالة وسماحة . وهو أمل مازينا بعبيدين عن تحقيقه وان كنا نبذل قصارى جهودنا من أجله . ثم أى تقدم هذا الذى يزحم مواقع العمل بالنساء ويترك الشباب والرجال بلا عمل لكى نفتح على مجتمعنا أبواب المشاكل والانحرافات التى تعاني منها مجتمعات سبقتنا فى هذا السبيل .

ان المرأة المصرية غير مؤمنة بعملها خارج بيتها غير راضية عن حياتها العائلية غير سعيدة بحياتها الزوجية لأن أعباءها فوق طاقة البشر . وستهل فرحا يوم تتوم الحكومة بتقرير أجور للرجال تكفى لنفقات أسرهم فى غير ما شظف . تلك حقيقة تعرفها حركة تحرير المرأة فى مصر وتعترف بها مما اشرنا اليه فى فصول سابقة .

الفصل السابع

درس من التاريخ

تقسم المؤرخون عصر قدماء المصريين الى ثلاثة عهود : عهد الدولة القديمة وعهد الدولة الوسطى وعهد الدولة الحديثة . ويمكن تلخيص السمات البارزة لكل من هذه الدول على النحو التالي :

(١) الدولة القديمة :

هي الدولة التي أسسها الملك مينس بتوحيد وجهى مصر . وقد قام اقتصادها على أساس تملك الحكومة لمساحات كبيرة من الاراضى الزراعية وتخصيص غلتها للنفقة على مختلف الخدمات من أمن ودفاع وشق وتطهير الترع وغير ذلك من الخدمات التى كانت تقوم بها الحكومة فى ذلك الزمان . أما الباقي من الاراضى الزراعية فكان ملكا خاصا للفلاحين . ولم يكن مسموحا بالملكيات الكبيرة حتى ينتفع أكبر غداد من أسر الفلاحين بالمساحة المحيطة التى لا تملكها الدولة . ولم يكن دخلها ولا أعلى الأجور المقررة لكبار موظفى الحكومة يسمح بممارسة حياة مترفة . نعرف ذلك من عجز كبار القوم عن دفع تكاليف قطع ونقل الحجر اللازم المقبرة طبق بمقام الواحد منهم .

ومن أهم ما أمتاز به حكم الأسر الثلاث الأولى العدالة المطلقة التى سادت علاقة الحكومة بالعاملين فى أجهزتها خاصة وبالمواطنين عامة . فلما ولى أبناء الأسرة الرابعة الحكم تربعوا على عرش مكين

وحكموا شعبا قويا اغنيا بأخلاقه وأمواله . ففرهم الأسطبان وفتنهم المال . ولولا خوفهم من الشعب لقضى شيطان العظمة فى سنوات على ما حصله وحققه الشعب فى مئات . وقد لا تكون الأهرام التى بناها خوفو وخفرع ومنكاروع شيئا يذكر فى مجال التنديد بسياستهم هم ومن جاء بعدهم لأن بناء تلك المآثر استأثر بالكثير من مال الشعب وعرقه . وقد كانت خزانة الدولة عامرة بالمال وقادرة على تغطية مثل هذه الأعباء الباهظة . أما الذى يذكر بأسف بالغ حقا فهو خروجهم على سياسة أسلافهم ، تلك السياسة التى حققت للشعب جهازا حكوميا نظيفا مقتدرا مبرا من عوامل الفساد . لقد سمح ملوك الأسرة الرابعة لأنفسهم أن يؤثروا المقربين اليهم بمنح كانت فى أول الأمر قليلة الأهمية مثل ، كل انحراف فى بدايته . ثم أخذت ترمى فى مدارج الأهمية حتى بلغت القمة فى عهد الأسرة السادسة . هذه البداية البسيطة فى الخروج على مبادئ العدالة والمساواة المثيرة انتهت بالشعب إلى حكم اقطاعى مسرف فى ظلم الفلاحين فى القرى والموظفين والعمال فى المدن وهو الحكم الذى سلب هؤلاء وهؤلاء نصف حريتهم . وهوى بالمرأة إلى حضيض الذل والهوان بعد أن كانت عزيزة كريمة لا ترى لها رسوم إلا فى مثل حجم زوجها ودلالته على المساواة التى كانت تنعم بها .

كان شعب الدولة القديمة يعيش فى ظل عقيدة وثنية تقوم على الإيمان بالله والإيمان بالعدل والأمان بالفضيلة . ومن ثم كانت حياته حرة أليه كريمة وتوقرت له كل أسباب التهوؤ فنهكن وكل أسباب الرقى فصعد . فلما انقلبت هذه الحياة إلى نقيضها وهوى إلى حكم فى عهد الأسرة السادسة إلى حضيض الفساد وقوات على الشعب مظالم الاقطاعيين وتكاثرت . ولما نشأ من اصلاح ملوكه وحكامه ثار عليهم جوالى عام ٢٤٧٥ ق.م ثورة عامرة أذلت أعناقهم وشنت شملهم . وهى أول ثورة شعبية عرفها التاريخ . ولذلك أسميتها فى كتابى « تاريخ الثورات المصرية » أم الثورات ١٠

(٢) الدولة الوسطى :

انتهت الثورة بقيام حكم صالح في البلاد . وكان من أهم الإصلاحات التي تحققت :

أ - اشاعة العدالة والجدية في أجهزة الحكومة . وقد حفلت الوثائق بأنبائها .

ب - إلغاء ملكية الحكومة والاتطاعيين للأراضي الزراعية وتوزيعها على الفلاحين بحيث يسلم لرب كل أسرة مساحة من الأرض تتناسب مع عدد أفراد أسرته . وفرضت الضرائب على الأراضي الزراعية لتمويل خزانة الحكومة ويقول الأستاذ عمر ممدوح مصطفى في كتابه (تاريخ القانون) أن بعض فقهاء القانون يرى أن هذا الإصلاح هو نظام اشتراكية الدولة ويرى بعضهم الآخر أنه على الرغم من أن الدولة كان لها الإشراف على العمال والفلاحين فقد كانت تتدخل لتراقب أحوال الزراعة والصناعة وتقوم بمهمة التوجيه والإرشاد إلا أنها مع ذلك لم تأخذ على عاتقها مهمة الاستغلال ولم تتكفل بدفع الأجور ولهذا يرون أن هذا الإصلاح هو نظام الاقتصاد الموجه وهو من النظم الاشتراكية أيضا .

ج - تخلصت العقيدة الدينية إلى حد ما من خرافة الاعتقاد بمادية الحياة في القبور وتوقف اهتمام الملوك والعظماء بمقابرهم واتجهوا بأموال الدولة نحو المشروعات النافعة للشعب مثل إقامة أول خزان مياه عرفه التاريخ وكان على شكل قوس طوله حوالي عشرين ميلا حول بحيرة قارون بالفيوم تحجز أمامه مياه النيل الواردة إليها وقت الفيضان ومثل حفر ترعة ملاحية عظيمة تصل البحر المتوسط بالبحر الأحمر عن طريق النيل .

والأسس القوية المتينة التي قام عليها نظام الحكم في هذه الدولة
صالحة لبقائه مدة طويلة ولكن من المدهش أن ينهار هذا النظام
بسرعة مذهلة فلم يعمر سوى قرنين من الزمان . وألقرنان كانا
في تلك الأيام الخوالي مثل أربعين أو خمسين عاما من زمننا . اذا
أخذنا في الحسبان أن وسيلة المواصلات كانت الحمار برا والمراكب
الشراعية بحرا .

ويعزى في رأى قصر عمر النظم الصالحة في مصر التي طيبة
شعبها وسماحته . والشعوب الطيبة السمتة يسهل عادة التغير
بها . ولا تدرك الحقائق إلا بعد فوات الوقت المناسب ثم يطول
الانتظار حتى تنتفض وتثار من هؤلاء الذين غرروا بها . وعلى أية
حال فإن عهد الدولة الوسطى قد انتهى بكارثة . فقد حدث في عهد
الأسرة الثالثة عشرة صراع على العرش بين قادة الجيش وكبار
الموظفين وتوالى الانقلابات حتى أن بعض من أعظم العرش لم
يستقر عليه إلا أياما معدودات . فعميت الفوضى البلاد واستشرى في
دمها من الحكومة الفساد . وظل الأمر على هذه الحال حتى فاحت
حيوش الهكسوس شعب مصر وحيشها المتهالك واحتلت أرض الكنانة
وحكمت شعبها قرابة مائة وخمسين عاما .

وبنفسه أن اشتر إلى أن حركة التحرير التي تحقق لها النجاح
في النهاية على يد الملك إحمرس الأول كانت تحركها وتشرف عليها
بسيطة مصرية عظيمة . وليس لي القارىء أن أنقل هنا ما كتبه
عن هذه السيدة في كتابي « تاريخ الثورات المصرية » .

« هذه البطولات التي كشفت عنها حروب الفراعنة ، التي تثير
في النفوس اقوى مشاعر التقدير والاعجاب والتي تثير في نفوسنا
كثيرا من آمالنا الطموحة والفكرة كانت تقف من ورائها سيادة عظيمة تشد
من أزرارها تنفخ نفثها من روحها . تلك هي الملكة (اعظم حث 7) : و
الملك (سقن رع) (ناعا الثاني) . لقد مات زوجها في حومة الوغى

وهى ما تزال فى ربيع الحياة شابة جميلة نضرة وترك لها غلامين صنعت منهما اعظم قائدين شهدهما تاريخ مصر القديمة باستثناء تجوتمس الثالث طبعا - هما الملك (وارخبررع - كامس) والملك (احمس الأول) الاذان حملا عبء تحرير الكنانة من حكم الاستعمار الهكسوسى . وقد اقام (احمس الأول) لوحة فى معبد الكرنك اشر فيها الى الدور الذى لعبته هذه السيدة الجليلة فى حروب التحرير وتعتبر هذه الملكة بحق مثالا رائعا للمواطنة الصالحة والام الفاضلة . فقد فجعت باستشهاد زوجها فى ساحة القتال وهى ما تزال فى ريعان الصبا . فوهبت نفسها لوطنها وعاشت له بكل جراحة من جوارحها . وتعهدت ولديها بحماس وعناية وكفاية ممتازة . آيتها ما كان من أمرهما مع الهكسوس وما كان من حملهما رسالة ابيهما ونجاحهما فى انقلاهما . ومع ان ابنتها (كامس) ماتت صغيرا فقد عرفت كيف تقى نفسها الانهيار والتخطم اللذين تتعرض لهما أية امرأة يصيبها ما اصاب (اعح حتب) من فقد زوجها ثم اكبر ابنتها . وواصلت السير فى الطريق الذى رسمته لنفسها - طريق تحرير وطنها من حكم الأجنبي - بأن تعهدت ابنتها الثانى (احمس) وما زالت به حتى سلمته عنان الجواد وتركته ينطلق فى اثر الهكسوس فلم يعد لها الا بعد أن طهر منهم ارض الكنانة فكان نعم الابن وكان نعم الخلف لنعم السلف . ولقد اعتبر المؤرخون عهد الملك (احمس الأول) بداية الدولة الحديثة .

(٣) الدولة الحديثة :

دراسة تاريخ الدولة القديمة والدولة الوسطى تؤكد لنا ان المصريين القدماء كانوا اساتذة فى مختلف فروع العلم والمعارف خصوصا ما اتصل منها بشئون الإدارة والاقتصاد ومن ثم كان حرصهم الشديد على اقامة جهاز حكومى نظيف مقتدر للخدمة مجتمع نظيف مقتدر ، غير اننا نلاحظ على ملوك الدولة الحديثة - وقد فتنوا بقوة الشعب وحيويته - شغفهم بالغزو والفتح . وكانت الانتصارات التى

أحرزوها بمثابة غشاة على عيونهم فلم يبصروا الحالة الاجتماعية التي كان عليها شعبهم . ولم يحفلوا بالسياسة الداخلية حفلهم بالسياسة الخارجية التي استغرقت كل تفكيرهم واستأثرت بكل جهودهم .

لقد خرج الشعب بعد مائة وخمسين عاما من الحكم الأجنبي مقرا مقرا مدقعا ماديا ومعنويا في غياب القيم الانسانية والتقاليد العظيمة التي قامت عليها أمجاد الدولتين القديمة والوسطى . هذا الفقر لم يلتفت اليه أحد ولم يدرك خطره أحد . وظل تيار الانحلال الخلقى الذى استشرى خطره في عهد الاحتلال مندفع لا يجد من يوقفه متفاقما لا يتصدى له أحد .

ان الأمراض الاجتماعية التى استشرت في عهد الدولة الحديثة كثيرة ولا يعنيها منها في هذه الدراسة إلا ما يتصل بموضوعنا . ذلك ان الدور الخالد الذى لعبته السيدة الجليلة والملكة العظيمة (أم حبيب) من أجل تحرير بلادها قد أشعل غريزة التقليد في نساء الملوك والعظماء وما دام عهد الكفاح والنضال قد انتهى فإن عليهم أن يبحثوا عن مجالات أخرى يبرزون فيها كما برزت ويخرجون على الناس كما خرجت . ومن ثم حفل تاريخ تلك الدولة بالملكات اللاتي فرضن وصايتهن على أولادهن الذين اعتلوا صغارا عرش بلادهم مثل (نفرتارى) زوج الملك (أحمس الأول) التى أعلنت وصايتها على ابنها الملك (أمنحوتب) ومنهن من انتزعت الحكم لأنفسهن مثل (حتشبسوت) التى كانت وصية على الملك (تحوتب الثالث) ثم عزله قبل أن يبلغ سن الرشد . ومثل الملكة (تى) التى حكمت باسم زوجها الضعيف الملك (أمنحوتب الثالث) ثم حكمت باسم ابنتها القاصر الملك (أمنحوتب الرابع) الذى سمي نفسه فيما بعد (أخناتون) . فلما مات وخلفه أخوه على العرش نارمته (نفرتي) زوج (أخناتون) السلطة ولما لم يؤيدها الشعب استعادت عليه دولة أجنبية .

وكان لهذا التغيير في حياة نساء الأسرة المالكة وما فيه من خروج على قوانين الشعب وتقاليده التي تحرم عليهن ممارسة الحكم على أى وجه من الوجوه أثر كبير على حياة نساء البيوت الكبيرة اللاتي خرجن الى الحياة الصاخبة وسمن الى اشباع نزعة السيطرة والتحكم مقتنيات في ذلك بنساء الاسر المالكة . فماذا كانت نتيجة هذا التغيير في حياة المرأة المصرية في ذلك الزمان ؟ كانت على النحو التالي :

اولا : هربت الملكات من مسؤولياتهن في القصر بما فيه من اهتمام بالملك ورعاية وعناية بأولادهن . وشغلن اوقاتهن بالتدخل في شئون الحكم والظهور في الحفلات العامة والخاصة . وصار الأمر كله في تربية الأولاد الى المربيات . ومعروف ان فقد الزوج اهتمام زوجه يؤدي حتما الى انصرافه عنها وفقد الأولاد حنان الأم ورعايتها يؤدي حتما الى انحرافهم . فلا عجب ان اذا رأينا قصور الملوك تشهد لأول مرة تعدد الزوجات فضلا عن ازدحامها بالمحظيات .

ثانيا : كان للمربيات نفوذ كبير استخدمنه في تعيين ذوى قرباهم في وظائف الدولة . وبذلك أصبح ذوات فضل عليهم واستشعرن علو مكانتهن على مكانتهم . فلا بأس عليهن ان تعالين عليهم وتحررن من قيود الرقابة والتوجيه التي كانت حقا للرجل في عهد الدولتين القديمة والوسطى على المرأة .

ثالثا : شاع ظهور المرأة في الحفلات والسهرات الماجنة . وقاسمت الرجل كؤوس الخمر وشاهدت معه السوانا من الرقص الماجن . ولقد اعتاد القوم هذا الانحراف حتى انهم لم يستشعروا الخجل وهم يسجلونه على جدران مقابرهم بنقش مناظر الحفلات الماجنة عليها . وكأنهم قد فقدوا

تماما كل شعور بالعصية . وقد حرص الاسكاذ سليم حسن على تسجيل هذه الظاهرة أو هذا المرض الاجتماعي الفعّال في كتابه « مصر القديمة » .

رابعا : اولاد الملوك وكبار رجال الدولة الذين تسبوا وترعرعوا في احضان الربيات مجرومين من رعاية وحنان أمهاتهم لم يكونوا قط في مستوى المسئولية التي حملوها ومنهم من لم يكن في مستوى الوطنية . فنجد مثلا الملكة (حتشبسوت)

ترشو الكهنة لكي يستغوا الشرعية على اغتصابها العرش من الملك الشرعى (تحوتمس الثالث) والملك (اخناتون)

الذى يزعم المؤرخون الأجانب انه نبى التوحيد كان شابا نازقا ماجنا مستهترا قصير النظر فارغا . لقد قال هؤلاء

المؤرخون ان شهواته استعبدته استعبادا . حتى ان عشرات من النساء المصريات والأجنبيات عجزن عن اشباع غريزة الجنس فيه كما قالوا انه عاشى أخساه

(سنخ كازع) معاشرة الأزواج . وكان امراء الأمصار يستنجدون به في صد العدوان عن بلادهم فلا ينجدهم وإذا

حضرُوا لمقابلته لا يقابلهم ويقول المؤرخون انه كان مشغولا

عن شئون الحكم بترائيله الفينية .

هل كان هذا كل ما أحدثه خروج المراقبة المصرية الى الحياة العامة من آثار في مجتمع الدولة الحديثة أو الامبراطورية المصرية

على حد قول المؤرخين الأجانب ؟

لقد ازدهرت قصور الملوك وعلية القوم بمئات من الأجنيبات لان جمالهن الثائر وخلاعتهن المثيرة كانت ضرورة لا غنى عنها

لاستكمال أسباب الترف الذى استشرى أمره بين الاغنياء ... نرى مثلا الملك (أمنحوتب الثالث) يطلب الى أمير (جيزر) أن يرسل

اليه أربعين من العذارى يتخيرهن من حسان امارته وارشقهن قواما

واشترب عليه ان يكن صبيحات الوجوه خاليات من شوائب الجمال .
 وختم الملك رسالته الى الحاكم بقوله « وسأخذ من هذه الهدية
 مقياسا لحسن ذوقك كما طلب من (شومانو) أحد أمراء سوريا عشرين
 عذراء ومن (عبدى خيا) أمير اورشليم احدى وعشرين فتاة تسلم
 لرسوله الأمين (شوتا) حتى تصل اليه كما براها خالقها لم يمسه
 بشر ... وهنا يقول الاستاذ سليم حسن في سفره العظيم « مصر
 القديمة » :

« فليت شعري اى شره هذا وليس بالكثير على رجل هذه
 متعته المحببة ان تقاس اقدار الرجال عنده بما يقدمون اليه من غوان
 تملأ العين والقلب . فهذا « توشرتا » ملك المتنى يهدى اليه ثلاثين
 حظية من البيض الرعابيب . كما ان علامة رضاه على العلية او
 الاشراف من رعاياه ان يهبهم من سبايا الحرب ما يستهوى القلب من
 نوات الدل والخمر . فأصبح الهوى مسيطرا على قلوب الرجال
 وتمتعت الغواني بمنزلة فريدة وتطلع القوم الى المثل العليا في الجمال
 لالعبادته وشبهه ولكن لقطفه وضمه . والناس في ذلك معزورون لانهم
 على دين ملوكهم يسرون » .

ولقد استقلت تلك المخطيات منزلتهن الفريدة في جلبا ذويهن
 من رجال ونساء الى مصر واخلاقهم فيها مكانا كريما . وكذلك كانت
 بداية عهد المماليك في الدولة الاسلامية وكان التاريخ يعيد نفسه .
 لقد زحف اقارب أولئك النسوة على وظائف الدولة في دواوين الحكومة
 وفي الجيش . وما زالوا يزحفون حتى نحووا الوطنيين عن الوظائف
 الكبيرة في الدواوين ووظائف القيادة في الجيش . وجاء اليوم الذي
 كان الجيش المصرى فيه مؤلفا من ممالك من اجناس مختلفة سباهم
 المؤرخون جنودا مرتزقة . وكان الملك « رمسيس الثانى » اول من
 اعتمد عليهم اعتمادا كبيرا . وادخل في الجيش منهم اعدادا وفيرة .
 وهكذا بنام ان حسد المرأة وانهارها بالأضواء المسلطة على

الرجل قد أفسد حياتها الزوجية وامتحن كرامتها . ودفع بالرجل الى مهاوى الفواية ومخاطر الانحراف . ودفع بالبلاد في النهاية الى قرآن سحيق . فقد ضيعت أجيال الدولة الحديثة استقلال البلاد وطمخوا حكمها للأجانب الذين استذلوا الشعب قرونا عديدة .

ان المصير الذي أنتهت اليه الأسرة في المجتمعات الغربية يجب ان يثير فزعنا واهتمامنا . فلم يعد هناك سوى « أسرة الصحبة » التي جعل علماء الاجتماع من بيتها مكانا يلتقى فيه أعضاء الأسرة للنوم أو طلبا للراحة من عناء العمل . ذلك أنه ما لم ننظم عملية تشغيل المرأة في ضوء الاحتياجات الملحة للاقتصاد الوطني والمصلحة العليا للمجتمع الاسلامى الذى ننتسب اليه — فان مصير الأسرة عندنا الى تشتت وتمزق لا شك فيهما .

ان شر ما تتعرض له علاقة الرجل بزوجه أن تكون رئاسته لها ولسائر أفراد الأسرة موضع جدل ومناقشة وأن تكون لقمة العيش هى التى تشد المرأة الى زوجها وتخضعها لمشيئته وتدخلها في طاعته . تلك فكرة غربية وثنية مادية مسرعة في ماديته . فالاسلام المعبر عن الفطرة البشرية أحسن وأصدق تعبير يلفتنا الى أن علاقة الرجل بزوجه هى الحياة بدونها لا تكون حياة على الأرض ومن ثم كانت حاجة الرجل الى المرأة مثل حاجتها اليه تماما . فراحة كل منهما وسعادته لا تتحقق الا في ظل الحياة الزوجية النظيفة الشريفة . ولا ينبغى استقلال ما قضت به الفطرة من تخصيص الرجل لأعمال الكسب وتخصيص المرأة لأعمال الزوجية وتربية الأولاد واقتصاد الأسرة في تضليل المرأة بمفاهيم باطلة .

ويوم تتخلص المرأة من رئاسة الرجل وهو المتوقع بعد سنوات قليلة اذا لم يبادر مجتمعنا الاسلامى الى ترشيد حركة تحرير المرأة وتحريرها من سيطرة الفكر الغربى فسيكون مصيرها هو نفس مصير

المرأة الغربية التي تقلدها وتحذو حذوها . ولن يمنعها من التردى في
 هاوية الرذيلة انتسابها الى عقيدة دينية صحيحة .
 ان حركة تحرير المرأة في مصر قد هوت بمستوى الفكر عند
 المرأة المثقفة حتى فقدت احساسها بالقيمة العظيمة التي اضعفتها
 القدرة الالهية على انوثتها . وهى القيمة التى تتجلى فى الاهتمام
 الشديد بالحفاظ على طهرها .
 ومع ذلك فان المرأة المثقفة لم تعد تلقت الى هذه القيمة لاثورتها
 بسبب انبهارها بتبرج المرأة الغربية وحرصها الشديد على تقليدها
 فى عرض هذه الانوثة عرضا مبتذلا فى الشوارع وامكن العمل والمحلات
 والحفلات ودور اللهو الماجن وغير الماجن خروجا بل وتمردا على قول
 الله تبارك وتعالى :

« قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك
 اذكى لهم ان الله خير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يفضضن من
 ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدین زينتهن الا لبعولتهن أو
 آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو اخواتهن أو اخوانهن أو
 بنى اخواتهن أو بنى اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت ايمنهن
 أو التابعين غير اولى الارية من الرجال أو الطفـل
 الذين لم يظهروا على عورات النساء . ولا يضرين بارجلهن ليعلم
 ما يخفين من زينتهن . وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم
 تفلحون » النور : ٣١ .

« والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن
 جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن
 والله سميع عليم » النور : ٦٠ .

« يا نساء النبى لستن كاحد من النساء ان اتقين فلا تخضعن

بالتقوى فيطمع الذي في قلبه درخس وقلن قولاً لمفروفاً . وقرن في
 بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة
 وأطعن الله ورسوله . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
 ويظهر لكم تطهراً» (الأحزاب : ٣٢ - ٣٣) .

«يا أيها النبي قل للأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين زينن
 عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً
 رحيماً» (الأحزاب : ٥٩) .

«يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين زينن عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً» (الأحزاب : ٥٩) .

«يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين زينن عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً» (الأحزاب : ٥٩) .

«يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين زينن عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً» (الأحزاب : ٥٩) .

«يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين زينن عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً» (الأحزاب : ٥٩) .

محتویات کتاب

محتویات کتاب

٤٩ محاضرة السيدة هدى شعراوي

٥٢ ندوة المرأة وأجهزة الإعلام

الفصل الرابع

٥٧ تجربة قاسية

٥٨ المرأة في السويد

٥٩ المرأة في إنجلترا

٦٢ المرأة الأمريكية

الفصل الخامس

٧١ حركة تنوير لا تحرير

٧٧ الفصل السادس

٨٢ حوار

٨٦ الفصل السابع

٩٢ دروس من التاريخ

٩٥ الدولة القديمة

٩٥ الدولة الوسطى

١٠٧ الدولة الحديثة

٩٦ الدولة الحديثة

دارالعلوم للطباعة

٧٨٩١ - ٢٧٠٣ - ١١٢٧ هـ
 القاهرة ٨ شارع مسير مجاري (الشرقية) مسقط

ت. ٣١٧٤٨

٧٧٦ - ٢٣١ - ٢٠٠ - ٢٠٠٠ - ٢٠٠٠ - ٢٠٠٠ هـ

رقم الابداع بدار الكتب ٤٠٢٩ - ١٩٨٣

الترقيم الدولي ٦ - ٠٠٤ - ١٤٣ - ٩٧٧